
روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
٧٣
مبعوث الجحيم

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

مبعوث الجحيم

- هل سيظل (ابن الشيطان) منتصرًا، فى الجولة الثانية؟
- كيف يواجه (نور) خصمه، دون فريقه، ودون أن يعلم حتى طبيعته؟
- تُرى كيف ينتهى الصراع؟.. ومن يربح المعركة، (نور) أم (مبعوث الجحيم)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور)، من أجل الخير.

٧٣



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم: الصراع الجهنمى



١ ــ انتصار الشيطان ..

بدت (سلوى) ، زوجة الرائد (نور الدين محمود) ، وعضو فريقه العلمى البوليسىّ ، شديدة التوتُّر ، فى تلك الدقائق التى تلتْ منتصف الليل ، فى مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، أكبر مجمَّع طبّىّ علاجىّ فى الشرق الأوسط كله ، وانطلق توتُّرها ملحوظًا فى نبرات صوتها ، وهى تسأل رئيس أقسام الطوارئ بالمستشفى ، فى عصبيَّة :

ــ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!.. كيف يمكن أن يحدث بالله عليكم ؟!.. لقد تركتُ ابنتى فى حالة جيِّدة نسبيًّا ، وسط مستشفى مركزىّ ضخم ، من المفروض أن تلقى فيه خير رعاية ، فكيف يصيبها ما أصابها ؟!

كانت تهتف بهذه الكلمات ، ودموعها تسيل على وجنتيها ، فغمغم رئيس أقسام الطوارئ ، فى لهجة تجمع ما بين الحزم والحَيْرة ، والعطف والإشفاق :

ــ صدِّقينى يا سيِّدتى .. كلنا هنا نبحث عن جواب ذلك

السؤال ، فلقد أكَّدت كل الفحوص والاختبارات ، التى أجريت لابنتك ، بعد حادث سيارتكما ، أنها فى حال جيِّدة نسْبِيًا . ولقد استغرقت فى نوم هادئ طبيعىّ ، وتوَقَّع لها الجميع أن تستيقظ فى خير حال . إلَّا أن مسًّا شيطانيًا قد أصابها بغتة ، فتحوَّلت إلى أنثى نمر مفترسة ، غادرت حجرتها ، وأطاحت بكل من اعترض طريقها ، فى قوّة فوق مستوى البشر ، قبل أن تنهار على هذا النحو ، وتسقط فى تلك الغيبوبة العميقة ، التى نجهل أسلوب انتزاعها منها ، على الرغم من كل تقدُّمنا العلمىّ .

عقدت (سلوى) حاجبيها فى توتُّر ، وهى تغمغم فى عصبيَّة :

ــ أتريد منّى أن أصدِّق حرفًا واحدًا من هذا ؟

هزَّ كتفيه ، قائلًا فى حزم :

ــ هذا شأنك .

ثم ضغط زرًّا على سطح مكتبه ، فانفتحت فى المكتب فجوة ، التقط منها قطعة معدنية غير منتظمة ، وضعها أمام (سلوى) ، مستطردًا :

ــ ولكن عليك أن تفسِّرى لى ما هذا ؟

تطلَّعت فى حَيْرة إلى القطعة المعدنية ، قبل أن تغمغم فى توتُّر :

ــ ما هذا ؟

أشار إلى القطعة المعدنية ، قائلًا فى حِدَّة ، جعلته يبدو كما لو أنه قد فقد سيطرته على أعصابه أخيرًا :

ــ لقد كان هذا الشىء ، منذ ساعة واحدة ، أو ما يزيد قليلًا ، مسدَّسًا ليزريًّا حديثًا .

جعلتها عبارته تنتبه إلى شكل المعدن المُلْتوِى ، إلَّا أنَّ ذلك لم يزدها سوى حَيْرة ، جعلتها تقول فى عصبيَّة متضاعفة :

ــ وما شأنى بذلك ؟

هتف فى حَنَق :

ــ ابنتك هى التى حوَّلت المسدَّس الليزرىّ ، إلى تلك الكُومَة السخيفة .

ثم ضمَّ قبضته أمام وجهه ، مستطردًا فى حِدَّة :

ــ وبقبضتها العارية .

اتسعت عينا (سلوى) ذُهُولًا ، وحدَّقت فى الكُومَة المعدنية لحظة ، ثم عادت ترفع عينيها إلى رئيس الأقسام ، وكأنَّما تتمنَّى أن يكذِّب ما تراه ، ثم لم تلبث أن أدركت أنه جادٌّ تمامًا ، فاغْرَوْرَقَتْ عيناها بالدُّموع ، وهى تُتَمْتِم :

ـ يا إلهى !!.. كيف حدث هذا ؟

تنهّد فى عمق ، ولان صوته مرّة أخرى ، وقد أدرك استسلامها للأمر ، وقال فى صوت يحمل رنّة المشاركة :

ـ صدّقينى ياسيّدتى ، هذا السؤال يُقلقنى أكثر مما يُقلقك .. خاصّة وأن تحليل دم ابنتك قد أشار إلى وجود أجسام غريبة فيه ، نجهل كُنْهها تمامًا ، وترتفع إلى نسبة ستين فى المائة .

انهارت فوق المقعد المواجه لمكتبه ، وتعثّر صوتها فى حلقها ، قبل أن يغادره أجشّ متلعثمًا ، وهى تغمغم :

ـ أثمّةَ أمل ؟

تنهّد على نحو لا يبشّر بالخير أبدًا ، وهو يغمغم :

ـ إننا لا نفقد الأمل أبدًا .

تركت العِنان لدموعها ، التى تفجّرت من عينيها ، وسالت على وجنتيها ، وهى تسترجع البداية ..

لقد بدأ الموقف كله بِحُلْم ..

حُلم رأى (نور) فيه جَدّه الراحل ، يقوده إلى رسالة عجيبة ، خلف إطار قديم ، فى حجرة مكتبه ، فى منزله الريفىّ المنعزل ..

وأصرّ (نور) على اتباع الرسالة ، واسطحب (سلوى) إلى المنزل الريفىّ المنعزل ، حيث وجد الرسالة فى نفس الموضع تمامًا ..

كانت رسالة تحوى نقشًا عجيبًا ، وسط قرص أعجب ، وتحوى جملة عربية واحدة غامضة ، تقول : « النار وحدها تغسل الشرور » .

وحار (نور) فى فهم العبارة ، وفى إدراك كُنْهَ القرص المنقوش ، المرسوم أعلاها ، حتى ذهب إلى الدكتور (محمد حجازى) ، أستاذه ، وكبير الأطباء الشرعيّين ، والمهتم بعلوم ما وراء الطبيعة ..

وكانت دهشة الدكتور (حجازى) عارمَة ، عندما رأى القرص والنقوش ، واصطحب (نور) إلى مَعْمَلِه ، حيث كان يُجْرِى الصفة التشريحية لمهندس منتحر ، فوجد (نور) نفس النقش محفورًا على صدر المهندس ، فى موضع القلب تمامًا ..

وازداد الأمر غموضًا ورَهبة ..

وفى نفس الوقت ، كانت مَلْحَمة الرُّعب تدور فى منزل (نور) ، وترتجف لها زوجته وابنته ..

صنابير المياه تُطلق دمًا ..

الأثاثات ترتجف وتنهار ..

الحياة تدبُّ فى المقاعد والمَوْقد ..

ملحمة شيطانية مُرْعِبة ، أصابتهما بفزع رهيب ، تسبَّب فى النهاية فى حادث سيَّارة ، كاد يُودِى بهما ، لولا أن نجَوَا من الموت بأعجوبة ..

وأقنع الدكتور (حجازى) (نور) ، بضرورة اللُّجوء إلى وسيط روحانىّ شهير ، وخبير فوق طبيعيَّات ، لعمل جلسة من جلسات تحضير الأرواح ، لبحث سبب مايحدث حولهم ..

ومع الجلسة ، بدت مَلْحمة رُعْب جديدة ..

انهار الدكتور (عبد الجليل) ، الوسيط الأشهر ، وبرزت أيدى مخيفة من أرض المنزل ، تعتصر كل من تُوقع به ، ثم هاجم المنزل مَسْخ مخيف .. كيان أسود هائل ، ابتلع الدكتور (عبد الجليل) ، هاجم (نور) والدكتور (حجازى) ، حتى قتله (نور) ، فراح ينكمش ، وينكمش ، وينكمش ..

وهنا سقط (نور) والدكتور (حجازى) فى كهف غامض رهيب ، أسفل منزل (نور) ..

كهف لم يكن له وجود من قبل ..

كهف شيطانىّ ..

كل هذا قبل أن يعلم الجميع من هو عدوُّهم ..

وكان عدوًّا رهيبًا هذه المرَّة ..

وَرَدَ اسمه قديمًا فى الأساطير ..

أساطير الرُّعب ..

كان عدوًّا نصف بشرىّ ، ونصف شيطان ..

كان ابنه ..

ابن الشيطان ..

فى هذه المرَّة كان له حليف بشرىّ صَحفىّ مُرْتَشٍ ، يُدْعَى (صفوت) ..

وفى تلك اللحظة ، كان الشيطان منتصرًا إلى أقصى حدّ ..

سجن (نور) والدكتور (حجازى) فى أحد كهوفه ..

ودفع بعضًا من دمه فى جسد (نشوى) ، ابنة (نور) و (سلوى) ، بواسطة معاونه البشرىّ (صفوت) [*] ..

لقد هزم الجميع فى هذه الجولة ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

هزمهم حقًا ..

وانتصر هو على حفيد (أوزيريس) ..

على (نور) ..

آخر من يحمل دم الإله الفرعونىّ ..

وفى تلك المرحلة من الصِّراع ، انطلقت ضِحكة عالية مُجَلْجِلة ..

ضِحكة الشيطان ..

* * *



٢ ـ الوهم القاتل ..

التمعت دموع اليأس فى عين الدكتور (حجازى) ، وهو يدير عينيه فى أرجاء الكهف الضخم ، قبل أن يغمغم فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

ـ ما كان لنا أن نتحدّى تلك القُوى الرَّهيبة يا (نور) .. لقد حَطَّمنا غرورنا البشرىّ .

غمغم (نور) فى حَنَق :

ـ رُوَيْدك يا سيِّدى .. إننا لم نتحطَّم بعدُ .

لوَّح الدكتور (حجازى) بيده فى يأس ، وهو يقول :

ـ كيف يا ولدى ؟.. إننا داخل كهف غامض مجهول مخيف ، لا ندرى كيف وصلنا إليه ، ولا كيف نشأ هو هنا ، وما رأيناه الليلة يؤكِّد أننا نواجه قوة رهيبة ، لا قِبَلَ لنا بها .. قوة يمكنها أن تحطِّم كل قوانين الطبيعة .

هبَّ (نور) واقفًا ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ مُحال يا دكتور (حجازى) .

سأله الطبيب الشرعىّ فى دهشة :

— ما المُحَال يا ولدى ؟
هتف (نور) فى انفعال :
— الله (سبحانه وتعالى) وحده القادر على تحطيم قوانين الطبيعة .
تمتم الدكتور (حجازى) :
— إنه مجرَّد مصطلح دارج يا ولدى ، فأنا أعلم مثلك أن ما نُطلق عليه اسم تحطيم القوانين ، ما هو إلَّا قانون جديد كنَّا نجهله ، ويصرّ على أن يسفر عن وجهه ، فى لحظة بعينها .
هتف (نور) فى انفعال متزايد :
— صدقت يا دكتور (حجازى) .. كل ما يبدو لنا خارقًا للمألوف ، هو فى الواقع أمر مَنْطِقىّ ، ولكننا نجهل قواعد منطقيته.. راجع معى مثلًا ما حدث، وستجد عشرات اللامنطقيَّات.. لقد هاجمتنا تلك الأيدى المروِّعة ، وكادت تفتك بنا جميعًا ، ثم فجأة تلاشى كل شىء ، وعاد بنا الزمن إلى نقطة البداية ، وبعدها هاجمنا كيان أسود مخيف ، وابتلع الدكتور (عبد الجليل) دفعة واحدة ، بكل جسده ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد انكمش إلى ما يقرب من حجم كرة صغيرة، عندما قتلته. فأين بالله عليك ذهبت جثة الدكتور (عبد الجليل)؟

غمغم الدكتور (حجازى) فى حَيْرة :
— ربَّما كان ذلك الكيان المخيف ، يمتلك القدرة على امتصاص الغذاء ، بسرعة هائلة ، مثل الـ.....
قاطعه (نور) فى حِدَّة :
— مثل ماذا يا دكتور (حجازى) ؟.. إنه لم يستغرق سوى لحظات ، ما بين ابتلاع جسد الدكتور (عبد الجليل) ، وتحوُّله إلى كرة صغيرة .. وهذا ينافى كل قواعد العلم والمنطق .
بتر عبارته بترًا جزئيًا لتتألق عيناه ، وهو يستطرد فى حزم :
— ما لم ...
كانت تلك الكلمة الصغيرة ، ذات الأحرف الأربعة ، كافية لأن يقفز الدكتور (حجازى) من مكانه فى لهفة ، هاتفًا :
— ما لم ماذا يا (نور) ؟.. هل توصلت إلى شىء ؟.. هل استنتجت أمرًا يتعلق بما يحدث ؟
أجابه (نور) فى حزم :
— ليس استنتاجًا يا دكتور (حجازى) وإنما هو تخمين.. إننى أظن أن كل ما يحدث لنا مجرَّد وهم .

تراجع الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهتف فى لهجة تحمل الحَيْرة والاستنكار ، وخيبة الأمل معًا :

ــ وَهْم ؟!.. كل هذا مجرَّد وَهْم يا (نور) ؟

صرخ (نور) فى عُنْف :

ــ نعم .. وَهْم .. وَهْم .. وَهْم ..

حانت منه التفاتة إلى الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف بتلك الكلمات ، فألْفَاهُ جاحظ العينين ، شاحب الوجه ، زائغ البصر ، يتطلَّع إلى مكان ما خلفه هو ، وهو يقول فى صوت ارتجفتْ حروفه ، وامتقعت ، حتى كادت تندمج بعضها ببعض ، فى جملة مُبهمة :

ــ إذن فهو أبشع وَهْم واجهته فى حياتى يا (نور) .

اخترقت عبارته صدر (نور) كخِنجَر حادّ ، ودفعته دفعًا إلى الالتفات ، إلى حيث يحدّق الدكتور (حجازى) ، بكل هذا الرُّعب ..

وعندما فعل ، غاص قلبه بين قدميه ، واتسعت عيناه فى رُعْب هائل ، وامتقع وجهه على نحو مُفزِع ..

لقد كان يتطلَّع مباشرة إلى صورة مجسَّمة للرُّعب ..

بل هو الرُّعب ..

الرُّعب ذاته ..

* * *

وقفت (سلوى) خلف زجاج حجرة العناية المركَّزة ، فى مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، تتطلَّع إلى ابنتها الفاقدة الوعْى ، والدموع تنحدر على وجنتيها كقطَرات من الحُمَم ، واقترب منها رئيس أقسام الطوارئ ، وهو يغمغم فى تعاطف :

ــ ستُشفى يا سيِّدتى .. صدِّقينى .. ستُشفى حتمًا بإذن الله .

أومأت برأسها موافقة ، وغمغمت :

ــ أعلم ذلك يا سيِّدى ، فلقد قضيت أنا وزوجى ما يقرب من عامين ، فى غيبوبة مماثلة ، قبل أن نستعيد نشاطنا تمامًا بغتة ، ولكننى أشفِق على ابنتى من أن تخوض تجربة مماثلة(*) .

تطلَّع لحظات إلى وجهها الشاب فى حَيْرة ، ثم غمغم :

(*) راجع قصة (الكابوس) .. المغامرة رقم (٦١) .

ـــ أخبريني يا سيِّدتي .. أليس من العجيب أن تنجب شابة مثلك ، فتاة ناضجة مثلها ؟ .

غمغمت في حزن :

ـــ إن هذا نِتاج تجربة رهيبة أخرى ، جعلت ابنتي تَنضج بصورة صناعية ، متخطية عوامل الزمن يا سيِّدى(*) .

تطلَّع إليها في دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ يا إلهى !.. أىّ أسرة منكوبة أنتم ؟. هذا أسوأ حظ قابلته في حياتى !!

تمتمت في ألم :

ـــ ليست مسألة حظ يا سيِّدى .. إنه عملنا .

هتف في دهشة :

ـــ عملكم ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وغمغمت :

ـــ نعم .. إننا نعمل لحساب المخابرات العلمية .

هتف في دهشة :

ـــ أنتم ؟!

ثم ضرب جبهته بكفِّه ، مستطردًا في انفعال :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

ـــ يا إلهى !! كيف لم يخطر هذا ببالى ؟!.. لقد تذكَّرت الآن أين رأيت وجهك يا سيِّدتى .. لقد كان ذلك في (أنباء الڤيديو) ، على شاشة الهولوڤيزيون ، عندما .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يهتف :

ـــ يا إلهى !!

التفتت إليه (سلوى) ، ورأته يحدِّق في شىء ما ، داخل حجرة العناية المركَّزة ، فصاحت في ارتياع :

ـــ ماذا حدث ؟.. ماذا أصاب ابنتى ؟

هتف ، وهو يشير إلى أحد الأجهزة العديدة ، التى تزدحم بها الحجرة :

ـــ انظرى إلى رسَّام المخ الإليكترونى . إنه يشير إلى حدوث نشاط رهيب .. نشاط عقلىّ فائق .. يفوق حتى نشاط مُخ طبيعىّ .

هتفت في ذُعْر :

ـــ وما الذى يَعْنيه هذا ؟

تراجَعَ في حركة حادَّة ، وهتف في رعب ، وهو يحدِّق داخل الحجرة :

ـــ يَعْنى هذا ....

استدارت إلى داخل الحجرة ، ورأت ما يَعنيه ..
رأت ابنتها تنهض جالسة على فراشها ..
ومن عينيها أطلَّ شرُّ الدنيا كلها ..
ولَحظتها شعرت (سلوى) بالخوف ..
الخوف على ابنتها ..
ومنها ..

* * *



رأت ابنتها تنهض جالسة على فراشها ..
ومن عينيها أطلَّ شرُّ الدنيا كلها ..

٣ ـ كل الرُّعب ..

كان ذلك المخلوق ، الذى يقف أمام (نور) والدكتور (حجازى) هو الرُّعب نفسه ، وقد تشكَّل فى صورة ماديَّة ..

كان عبارة عن وجه شبه وحش ، من أبشع ما رآه الاثنان ..

وجه له عين واحدة ، فى منتصفه تمامًا ..

عين حمراء .. قانية .. مخيفة ..

وحولها عدد من الأفواه ، ذات الأنياب الحادَّة البارزة ، التى تسيل منها الدماء ، وكأنما انتهى كل منها من التهام فريسته على التوّ ..

وهذا الوجه يقف على عشرة أرجل ، كعنكبوت بَشِع رهيب ..

وفى وحشية وشراسة ، راحت العين الحمراء الرَّهيبة تحدِّق فى وجهى ضحيتيها ، وراحت الأفواه تُفتح وتغلق ، والأنياب الحادَّة تتصادم وتُصْطَك ، فيصدر عنها صوت كصليل السُّيوف ، وقرْع الأجراس ..

وتراجع (نور) والدكتور (حجازى) فى رُعب ، والأخير يردِّد فى ارتياع :

ـ لقد انتقلنا إلى الجحيم .. لقد فعلنا حتمًا .. ليس هذا الشىء من مخلوقات الأرض .

هتف (نور) فى ثورة :

ـ متى ينتهى هذا الجحيم ؟.. متى ؟..

ردَّدت الجدران صَدَى هُتافه ، فى إيقاع هابط ، زاد من هَوْل الموقف ، وخاصَّة عندما جاوبه ذلك الوجه بصيحة من صيحاته ..

كانت صيحته أشبه بأنين آلاف المعذَّبين ، ونُواح مئات الثَّكالى ..

كانت لمحة من الجحيم بحقّ ..

وارتجف جسدا (نور) والدكتور (حجازى) ، وامتلأت نفساهما برُعب لا حُدودَ له ، على حين تحرَّكت الأقدام العشرة فى بطء ، ليتجه ذلك المخلوق نحوهما ، وأنيابه تتباعد وتتدانى كموت يهمّ باقتناص ضحيَّة جديدة ..

وهنا انتزع (نور) نفسه من رعبه انتزاعا ، وانتزع مسدَّسه اللّيزرىّ ، وصرخ فى إصرار وعناد :

— فلنرَ أَوَهْمٌ أنت أم حقيقة ؟

وانطلقت أشعة مسدَّسه تشقُّ فَراغ الكهف ، وترتطم بالمخلوق المخيف ، ثم ترتدُّ عنه إلى الجُدران ، فتُحطِّم الصخور ، وتُثير الرِّمال ..

وأطلق (نور) الأشعة مرَّة ، ومرَّة .. وثالثة ..

وفى كل مرَّة يحدث الشيء نفسه .

تنعكس الأشعة ، ويبقى المخلوق سليمًا ..

والتصق الدكتور (حجازى) بالحائط ، وهو يهتف فى هَلَع :

— وهمًا كان أم حقيقة .. لقد عجز سلاحك عن صدِّه يا (نور) .

أجابه (نور) بهُتاف مرتجف :

— يا إلهى !!..

وأمام عينيه الملتاعتين ، رأى المخلوق المخيف يحاصر الدكتور (حجازى) بين بُروزَيْن صخريَّيْن ويفتح أفواهه كلها ، ويُبرز منها مئات الأنياب ..

كان يهمّ بالتهام فريسة جديدة ..

فريسة بشريَّة ..

* * *

نهضت (نشوى) من رَقْدتها ، وعيناها تتألقان ببريق مخيف ..

بريق شيطانىّ ..

وفى بطء ، أدارت عينيها إلى تلك الأجهزة الإليكترونية الحديثة ، التى تحيط بها ..

ثم صرخت ..

وارتجفت (سلوى) فى رُعب ، وهبط قلبها بين قدميها ، وتمزَّقت نفسها بين فزع ومرارة وحزن ، عندما اخترقت صرخة ابنتها أذنيها ..

كانت صرخة مخيفة ، أشبه بزئير عشرات الأُسود الغاضبة ..

وفجأة ، انتزعت (نشوى) كل الأنابيب الطبيَّة المتصلة بجسدها فى عُنف ، ثم هبَّت واقفة ، فتراجع رئيس أقسام الطوارئ ، وهو يهتف :

— أسرعوا .. لقد عاودتها النَّوبة .. أسرعوا .

اندفع خمسة من الممرضين نحو الحجرة ، فى نفس اللحظة التى اقتربت فيها (نشوى) من باب الحجرة الزجاجىّ السميك ، و (سلوى) تهتف فى ارتياع :

ـ ماذا أصابها ؟.. ماذا حدث ؟

اختلطت حروف كلمتها الأخيرة مع صوت تحطُم الباب الزجاجيّ السميك ، إثر لكمة هائلة من كفّ (نشوى) الرقيقة ..

وتراجع الممرضون الخمسة فى خوف وهلع ..

لقد كان ذلك الزجاج السميك ، الذى حطّمته (نشوى) بلكمة واحدة ، من نوع غير قابل للكسر ..

من نوع تعجز حتى رصاصات القرن العشرين عن تحطيمه ..

وصرخت (سلوى) فى رُعب وارتياع :

ـ أنقذوها .. أنقذوا ابنتى .. أرجوكم .

هتف أحد الممرّضين الخمسة فى ذُهول واستنكار :

ـ ننقذها ؟!..

وهتف آخر فى ذُعر :

ـ المهمّ هو أن ننقذ أنفسنا منها .

قال هذا وهو يعدو مبتعدا ، على حين حاول زميل له أن يقترب من (نشوى) ، وهو يقول فى توتُر :

ـ مهلًا يا آنسة .. مهلًا .. لِمَ لا نتحدث على نحو منطقىّ ، أو ..... ؟

لم يتمّ المسكين عبارته ؛ لأن قبضتها هَوَتْ على فكّه ، فحطَّمته تحطيمًا ، وسقط الرجل غارقًا فى دمائه ، وقد انشطرت فكّه إلى شطرين ..

وصرخت (سلوى) فى ألم وعذاب :

ـ مستحيل !.. مستحيل !..

دفعت صرختها (نشوى) إلى أن تلتفت إليها ..

والتقت عيناهما ..

واتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ..

ليست هذه عينى ابنتها ..

صحيح أنهما تشبهان عينيها ..

ولكنهما ليستا هما ..

هاتان العينان تحملان شرَّ الدنيا كلها ، وشراستَها ووحشيتَها ..

إنهما عينا شيطان ..

والتصق الجميع بالحائط فى رُعب ، على حين التفتت (نشوى) بجسدها كله إلى أمّها ، ثم اتجهت إليها فى وحشيَّة مخيفة ..

وفجأة ، أمسكت (نشوى) عُنق أمها ، وضمَّت قبضتها فى عُنف وشراسة ..

واتسعت عينا (سلوى) فى رُعب هائل ، ومرارة لا حصر لها ..

إنها تواجه الموت ..

الموت فى قبضة أحبّ مخلوقات الدنيا إليها ..

فى قبضة ابنتها ..

* * *

شحُب وجه الدكتور (حجازى) فى شِدَّة ، حتى صار أشدّ امتقاعًا من وجوه تلك الجثث ، التى يعكف على فحصها طِيلة الوقت ، والمخلوق المخيف يحاصره تمامًا ، ويتأهَّب لالتهامه بلا رحمة ..

وانهار الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

ـ إنها النهاية يا (نور) .. لم أكن أتوقَّعها على هذا النحو البشع ، ولكنه قَدرِى ..

الوداع يا (نور) .. الوداع يا ولدى .

اتسعت عينا (نور) فى خوف ويأس هائلين ، ثم لم يلبث يأسه أن تنحَّى جانبًا ، وتلاشت نظرة الخوف من عينيه ، وحلَّت محلها نظرة عناد وإصرار هائلة ، وانعقد حاجباه فى غضب ، وهو يهتف بصوت قوىّ ، ارتجَّت له جدران المكان كله :

ـ كلَّا .

وبلا سلاح ، اندفع نحو المخلوق المُرْعِب ، وبقفزة واحدة اعتلى جسده ..

لقد بدأ (نور) صراعًا رهيبًا ..

صراعًا شيطانيًّا ..

* * *



٤ ــ الانهيار ..

كان الموت يطلُّ شامتًا من قبضة (نشوى) ، وهى تهم بقتل أُمّها ..

وكانت الوحشية تطلُّ من عينيها ..

أىّ شيطان هذا ، الذى فعل بها ذلك ؟..

أىّ شرّ هذا ، الذى يدفع ابنة إلى قتل أُمّها ؟..

ومن العجيب أن (سلوى) لم تشعر بالخوف ، وهى تواجه الموت ، على يد ابنتها ..

كل ما شعرت به هو الألم والحزن والمرارة ..

ومن عينى الأم ، سالت دموع ساخنة ..

دموع انحدرت على وجنتيها الشاحبتين ، لتحفر فيهما نهرين من حُمَم الأمومة ..

وفى استسلام كامل ، تطلّعت (سلوى) إلى عينى ابنتها ، تنتظر الموت القادم إليها كالصاعقة ..

ولكن المعجزة حدثت فجأة ..



وبلا سلاح ، اندفع نحو المخلوق المرعب ، وبقفزة واحدة اعتلى جسده ..

معجزة إلهية عجيبة ..

معجزة من معجزات الخالق (عزَّ وجلّ) ..

فجأة ، لانت القبضة المضمومة ..

وتراخت الأصابع ..

وتلاش الشرّ من النظرات ..

ومن عينى (نشوى) ، أطلّ عذاب عميق ، لم يلبث أن تحوّل إلى حَيْرة ودهشة ..

وفى بطء امتدّت تلك الأصابع ، التى كانت تستعد للقتل ، تمسح دموع (سلوى) ..

وهتفت (نشوى) فى حَيْرة وإعياء :

— أمّاه !!..

لقد غسلت دموع الأم روح الشرّ ..

غسلتها من نفس ابنتها ..

وتلاشى الشيطان من نفس (نشوى) ..

ثم انهارت فجأة ..

عادت إلى غيبوبتها العميقة ..

إلى عالم اللاوعى ..

* * *

جاءت انقضاضة (نور) على المخلوق البشع مباغتة ، حتى أن جسده قد ارتطم بالصخور ، ثم انقلب على ظهره ، كعنكبوت بشع ، أصابته ركلة من قدم غاضبة ..

وسقط (نور) وسط الأرجل العشر ، وراح يلكم المخلوق فى أنحاء جسده ، صائحًا فى غضب :

— لن تهزمنا .. لن تهزمنا أبدًا .

وراح المخلوق يقاتل فى شراسة ، وهو منقلب على ظهره ، وأرجله العشر تركل (نور) ، وتدفعه فى وحشية ، وأفواهه كلها تحاول الإطباق على أى جزء من جسد (نور) ، فى حين بقى الدكتور (حجازى) ملتصقًا بالجدار ، جاحظ العينين فى رُعب ، ذاهلًا .. مشدوهًا ..

ولكن انقضاضة (نور) راحت تتغلغل فى أعماقه فى بطء ..

لقد جازف (نور) بحياته من أجله ..

من أجل إنقاذه ..

لقد واجه الموت لينقذه منه ..

وانتزعت تلك الفكرة ذُهوله وخوفه ..

هو أيضًا امتلأ بالغضب والصرامة ..

وفى حركة حادّة ، انتزع من جيب سترته مبضعًا كبيرًا ، من تلك المباضع التى يستخدمها لتشريح الجثث ..

وبصرخة صارمة، قفز بلدوْره نحو المخلوق، وغاص نَصل مبضعه فى عينه الواحدة الضخمة ..

وانطلقت صرخة المخلوق كالأنين والنُوَاح ..

صرخة رهيبة هائلة ..

وتفجَّرت عينه المخيفة كقنبلة مكتومة ، واندفعت منها الدماء فى عنف ، وراحت الأرجل العشر تراقص فى تشنُّج عنيف بعض الوقت ، والدماء تسيل من العين المفقوءة فى غزارة مخيفة ..

ثم انتهى كل شىء ..

سكن المخلوق المخيف ، وانتهى وسط بركة رهيبة من الدماء ..

ونهض (نور) مشدوهًا ، يحدِّق فى الجسم الراقد أمامه ، مغمغمًا :

ــ لقد أفلح المبضع فيما فشلت فيه أشعة اللِّيزر .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ــ تذكَّر أن أشعة اللِّيزر تعجز عن تحطيم مرآة ، فتنعكس عنها ، دون أن تصيبها بأدنى ضرر ، على حين يصنع حجر صغير ذلك ، وبكل كفاءة .

تنهَّد (نور) ، وأومأ برأسه مغمغمًا :

ــ صدقت .

وران عليهما الصمت لحظات ، وكأنما يسعى كل منهما لالتقاط أنفاسه ، قبل أن يغمغم (نور) فى هدوء ، بدا عجيبًا فى تلك اللحظة ، وفى ظل هذه الظروف :

ــ أتعلم ما الذى يربكنى حتى الآن يا دكتور (حجازى)؟

سأله الدكتور (حجازى) دون أن يلتفت إليه :

ــ ماذا ؟

تنهَّد (نور) مرَّة أخرى ، وقال :

ــ إننى أجهل - حتى الآن - من أحارب.. أو ماذا أحارب .

غمغم الدكتور (حجازى) فى حَيْرة :

ــ تحارب ؟!

قال (نور) ، وقد بدأت حِدَّة عصبيَّة تنمو فى صوته :

ــ نعم .. ما زلت أجهل حتى الآن ، مَنْ عدوِّى ..

أجابه الدكتور (حجازى) فى تردُّد :

ــ إنها الأرواح الشرِّيرة يا (نور) .

صاح فى حَنَق مباغت :

ــ أيَّة أرواح شريرة ؟!.. منذ متى تفعل الأرواح الشرِّيرة

ذلك ؟.. إن أقصى ما بلغنا عنها ، هو أنها تُشعل النار فى الأثاثات ، أو تنقل الأشياء من مواضعها ، ولكن ما يحدث هنا يفوق كل ذلك ..

ثم قلَّب كفَّيه ، وهو يستطرد ساخطًا :

ـــ ولا يتبع أيّة قوانين .

شعر الدكتور (حجازى) بالقلق ، وخشى أن يصاب (نور) بانهيار عصبىّ ، فغمغم محاولًا تهدئته :

ـــ رُوَيْدك يا (نور) .. رُوَيْدك يا ولدى .. العالم لم ينته بَعْد .. من يَدْرِى ؟.. ربَّما ....

قاطعه (نور) هاتفًا :

ـــ ربما أمكننا الخروج من هنا .. وربما بقينا إلى الأبد .. نعم .. مَنْ يَدرى ؟

وفى غضب ، انتزع خزانة الطاقة ، من مؤخرة مسدسه اللّيزرىّ ، فهتف به الدكتور (حجازى) فى ذُعْر :

ـــ ماذا ستفعل ؟

هتف (نور) فى حزم غاضب :

ـــ سأحسم الأمر .

هبَّ الدكتور (حجازى) واقفًا ، وهو يهتف مذعورًا :

ـــ ربَّاه ؟!.. هل ستلقى خزانة الطاقة على جدران الكهف ؟

أجابه (نور) فى حِدَّة :

ـــ نعم .. سأفعل .. هذا هو سبيلنا الوحيد .

صرخ الدكتور (حجازى) فى رُعْب :

ـــ وماذا لو انهار المكان على رءوسنا ؟

صرخ (نور) :

ـــ وماذا لو أن نجاتنا تكمن خلفه ؟

وفى حزم ألقى خزانة الطاقة على الجدار ، وارتجَّ المكان كله بصوت انفجار قوىّ .

انفجار رهيب ..

* * *



٥ ـ العدوّ ..

تصاعدت درجة حرارة تلك الحجرة ، التى يجلس فيها (صفوت) ، مع سيّده (ابن الشيطان) ، حتى بدت أشبه بؤرة من الجحيم ، وراح (صفوت) يتصبّب عرقًا فى شدّة ، وهو يغمغم فى خوف :

ـ سيّدى .. سيشتعل المكان يا سيّدى .. أرجوك .

فتح (ابن الشيطان) عينيه بغتة ، وحدّق فى وجه (صفوت) بعينيه الناريّتين فى غضب ، وهو يقول :

ـ يشتعل ؟!

تراجع (صفوت) فى خوف ودهشة ، ولاحظ كيف أن حرارة الحجرة راحت تنخفض تدريجيًا ، وهو يتمتم :

ـ معذرة يا سيّدى .. ولكنك كنت ترتجف ، غائبًا عن الشعور تمامًا ، وكانت درجة الحرارة ترتفع ، و .....

لم يستطع إكمال عبارته ، وهو يتطلّع إلى العينين الناريّتين ، غير البشريتين ، وراح العرق يتصبّب على وجهه غزيرًا ، على

الرغم من أن درجة حرارة الحجرة كانت قد انخفضت إلى أقصى حدّ ، فانهارت عيناه أرضًا ، وهو يتمتم :

ـ الرّحمة يا سيّدى !! الرّحمة !!

أتاه صوت (ابن الشيطان) ، وهو يغمغم فى لهجة تجمع ما بين السُّخرية والدهشة والاستنكار :

ـ الرّحمة ؟!

ثم انطلقت فى المكان ضحكة رهيبة ، بدت وكأنها قادمة من أعماق الجحيم ، وهبَّ (ابن الشيطان) واقفًا ، فبدا كمارِد هائل ضخم ، وهو يستطرد فى قسْوة :

ـ قاموسى لا يحوى هذه الكلمة أيها الإنسىّ ، فلا تنطق بها أبدًا .

هتف (صفوت) فى ارتياع :

ـ لن أفعل يا سيّدى .. أُقسم لك .. أُقسم لك .

قال (ابن الشيطان) فى صوت جَهْورِىّ رهيب :

ـ أعلم أنك لن تفعل .

ثم تحرّك فى خطوات قويّة نحو حجرة جانبية ، وقال دون أن يلتفت إلى (صفوت) :

ـ لا تدخل إلى هذه الحجرة .



وبرقت عيناه ، وهو يستطرد فى شراسة رهيبة :
ـ مهما كانت الأسباب ..

وبرقت عيناه ، وهو يستطرد فى شراسة رهيبة :

ـ مهما كانت الأسباب .

وأوصد الباب خلفه فى قوة ، تاركًا (صفوت) يرتعد خوفًا ، قبل أن تهدأ نفسه تدريجيًا ، ويغمغم فى توتر :

ـ لماذا أطيعه ؟.. لماذا ؟

أجاب الشيطان الرابض فى أعماقه :

ـ لأنه الأقوى ، ولأنه وَعدك بأن يمنحك شركة أنباء الفيديو كلها .

برقت عيناه فى شراسة ، وهو يغمغم فى شراسة وطمَع :

ـ نعم .. لأنه سيمنحنى القوَّة والمال .

ثم صبَّ لنفسه كأسًا من الخمر ، رفعها عاليًا ، وهو يهتف فى نشوة :

ـ نخب الشيطان الابن .

وجَرَع كأسه دَفعة واحِدة ..

وارتوى شيطان الشرّ فى أعمق أعماقه ..

* * *

أرقد الممرضون (نشوى) على سريرها ، فى حجرة العناية المركَّزة ، وراح رئيس الأقسام يطمئن على انتظام نبضها

بنفسه ، قبل أن يتنهّد فى عمق ، ويلتفت إلى أمها ، قائلًا بابتسامة باهتة :

ــ لقد صنعت دموعك معجزة يا سيِّدتى .. لقد أنقذت الجميع .

تمتمت (سلوى) فى حزن :

ــ فيما عدا ذلك المسكين ، الذى تحطَّم فكُّه ، وأصيب مخه بالارتجاج .

غمغم رئيس الأقسام فى اقتضاب حازم :

ــ سيُشفى بإذن الله .

وقاد (سلوى) إلى الخارج ، مستطردًا فى قلق :

ــ ولكن دم ابنتك ما زال يحوى تلك الأجسام الغريبة ، وبنفس النسبة .

سألته فى اهتمام :

ــ ألَمْ تتوصَّلوا إلى معرفة كنهها بعد ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ كلَّا للأسف .. لقد حَيَّرنا أمرها جدًا ، فهى ليست بميكروبات ، أو فيروسات .. إنها أجسام خاملة تمامًا ، لا تتفاعل مع أى وسط حىّ ، حاولنا زرعها فيه ، أو أى وسط كيميائى آخر ، ومن المفروض أن يَعْنِىَ ذلك عدم ضررها تمامًا ،

ولكن ذلك غير صحيح ، فها هى ذى تأتى أفعالًا مخيفة ، يشيب لهولها الوِلْدان ، فى جسد ابنتك .

غمغمت فى ارتياع :

ــ يا إلهى !!

ثم انحدرت من عينيها دمعة ساخنة ، فتطلَّع إليها الطبيب فى إشفاق ، وسألها فى تردُّد :

ــ ألست عضوًا فى فريق للمخابرات العلمية ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، فعاد يسألها :

ــ أين باقى الفريق إذن ؟.. لِمَ لا يتعاونون معك ومعنا ، للبحث عن خلاص لابنتك من هذا ؟

زفرت فى مرارة ، وهى تقول :

ــ لا يوجد فريق الآن .. لقد أصيب نصفه فى مغامرة سابقة(*) ، ولم يَعُد هناك سواى ، وسوى زوجى فقط .

سألها فى دهشة :

ــ أليست ابنتك .....؟

أجابته قبل أن يتم سؤاله :

ــ كلَّا .. ليست ضمن الفريق .

(*) راجع قصة (السَّتار الأسود) .. المغامرة رقم (٧٠) .

وزفرت مرَّة أخرى فى مرارة وألم ، قبل أن تستطرد :

— إنها فقط ضحيَّة .. ضحيَّته للمرَّة الثانية .

* * *

انفجرت خزانة الطَّاقة الصغيرة ، الخاصَّة بمسدَّس (نور) ، فى جدار الكهف ، وارتجَّ المكان فى قوَّة ، وبدا لحظة أنه سينهار على رأس (نور) والدكتور (حجازى) ، اللَّذيْن راحا يَسْعُلان فى قوَّة ، بسبب سحابة الغبار الكثيفة ، التى تولَّدت عن الانفجار ، قبل أن يخفق قلباهما فى لهفة وأمل ، وقد سقط ضوء قوىّ على وجهيهما ..

وهتف الدكتور (حجازى) فى فَرْحة غامرة ، وهو يتطلَّع إلى تلك الرَّدْهة الأنيقة ، التى بدت من خلف فجوة فى جدار الكهف :

— منزلك يا (نور) .. إنه منزلك .

دفعه (نور) أمامه ، وهو يهتف :

— نعم .. إنه هو .

لم يصدِّقا نفسيهما ، عندما عَبَرا الفجوة ، ووقفا وسط رَدْهَة منزل (نور) ، وصاح الدكتور (حجازى) فى سعادة :

— لقد نجوْنا يا (نور) .. لقد نجونا ..

غمغم (نور) :

— نعم .. لو أنك تقصد إضافة كلمة (مرحليًا) ، فأنا أوافقك .

تصلَّب جسداهما بغتة ، عندما انبعث من خلفهما صرير قوىّ ، وهتف الدكتور (حجازى) فى ذُعر :

— ربَّاه !! ليس ثانيةً .

التفتا فى آن واحد ، نحو الفجوة التى أتيا منها ، ثم تراجعا فى دهشة ..

لم تكن هناك فجوة ..

لم يكن هناك شىء ..

فقط جدار رَدْهَة (نور) ، بأناقته ، وطلائه المعهود ، ومصابيحه الفسفوريَّة ..

وكأنما لم يكن هناك سواه ..

لا كهف .. لا خوف ، لا وَهْم ..

وهتف الدكتور (حجازى) مذهولاً :

— مستحيل !!.. لقد عَبَرْنا الفجوة توًّا .

غمغم (نور) فى توتُّر بالغ :

ـ أو أننا لم ننتقل من مكاننا، وأن كل هذا كان مجرَّد وَهْم.

نفض الدكتور (حجازى) الغبار الكثيف عن ثيابه، وهو يهتف :

ـ وهْمٌ ؟!.. وماذا عن غبار الجحيم هذا ؟

نفض (نور) الغبار عن ثيابه بدوْره، وهو يقول فى حَيْرة :

ـ نعم .. هذا الغبار حقيقىّ .

وتطلَّع إلى الجدار مرَّة أخرى فى دهشة، ثم اتجه إليه فى حزم، وراح يدقُّ عليه بقبضته فى قوَّة، قبل أن يتراجع مرَّة أخرى، هاتفًا فى حَيْرَة أشدّ :

ـ إنه مُصْمَت تمامًا .. لاتوجد خلفه أيَّة تجاويف .

صرخ الدكتور (حجازى) فى حِدَّة :

ـ من أين أتينا إذن ؟

تلفَّت (نور) حوله، وهو يقول :

ـ بل قُلْ كيف أتينا ؟

توقَّف بصره بغتة عند نقطة ما، وارتجف صوته من فرط الانفعال، وهو يستطرد :

ـ أهذا أيضًا وَهْم ؟

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إلى حيث ينظر (نور)، وارتفع حاجباه فى ارتياع، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !!.. الدكتور (عبد الجليل) ؟.

كانت جثة الوسيط الرُّوحانىّ الأشهر مُلقاة أمام باب المطبخ، كاملة، فى نفس الموضع الذى ترك فيه الاثنان تلك الكُرَة البشعة، التى تخلَّفت عن الكيان الأسْوَد الرَّهيب، الذى ابتلع الدكتور (عبد الجليل) أمام عيونهما ..

وبلا تفكير، اندفع الاثنان نحو جثة العالِم المِسكين، الذى بدا شاحب الوجه فى شدَّة، وانحنى الدكتور (حجازى) يلصق أذنه بصدر الجثة، قبل أن يعتدل، ويتطلَّع إلى عينى الجثة الجاحظتين، مغمغمًا فى شُحُوب :

ـ لقد لَقِىَ مَصْرعه .

هتف (نور) فى توتُّر :

ـ ليس هذا مايُدهشنى، وإنما أتساءل : من أين جاء ؟.. وأين اختفى من قبل ؟..

وتعالى صوته، وهو يصرخ مستطردًا :

ـ وأىّ منطق يحكم كل هذا ؟

تلفَّت الدكتور (حجازى) حوله فى خوف، وهو يغمغم :

— منطق الرُّعب .

لوَّح (نور) بذراعه فى حَنَق ، وهو يهتف :

— أىّ منطق هذا ؟.. وما هو ؟.. أو من هو ذلك العَدُوّ الخَفِىّ ، الذى يستخدم معنا ذلك المنطق ؟.. ولماذا يفعل ؟.. وما هدفه ؟

غمغم الدكتور (حجازى) :

— ربما يهدف إلى إخافتنا فحسب .

صرخ (نور) :

— لماذا ؟.. إخافتنا ليست هدفه حتمًا .. إنما هى وسيلته للوصول إلى هدف ما .. وما أسأله هو لماذا ؟ ..

ران عليهما صمت ثقيل ، بعد سؤال (نور) الأخير ، وبدا ذلك الصمت ، بتناقضه التام مع ثورة (نور) قبل لحظة واحدة ، أكثر مدعاة للخوف والقلق ، حتى أن الدكتور (حجازى) وجد نفسه مضطرًا لقطعه ، مغمغمًا :

— أظن أنه هناك وسيلة يا (نور) .

التفت إليه (نور) ، يسأله فى لهفة :

— ما هى ؟!

تردَّد الدكتور (حجازى) على نحو واضح . وكأنما شعر بالنَّدم ، على تفوُّهه بتلك العبارة . فهتف (نور) يستحثه على الإجابة :

— ما هى يا دكتور (حجازى) ؟.. ما هى بالله عليك ؟

تنهَّد الدكتور (حجازى) فى عمق ، وقال :

— أن نلجأ إلى أكبر خبراء ما فوق الطبيعيَّات فى الشرق الأوسط .. وأن .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى نقطة ما خلف (نور) فى رُعب هائل ، كادت عيناه تقفزان له من محجريهما ، فالتفت (نور) إلى حيث ينظر فى حِدَّة ، ثم تراجع فى قفزة واحدة كالمصعوق ..

لقد كانت جثة الدكتور (عبد الجليل) جالسة ، تحدِّق فيهما فى هدوء ، وعلى شفتيها ابتسامة شاحبة ..

ابتسامة جثة ..

* * *

٦ ـ المستحيلات ! ..

على عكس الدكتور (حجازى) ، لم يكن الشعور المسيطر على (نور) فى تلك اللحظة ، وهو يحدّق فى تلك الجثة ، التى نهضت واقفة ، هو الخوف ..

بل كان الاستنكار ..

ولقد عبَّر عن استنكاره هذا فى صوت مسموع ، وهو يقول :

ـ مستحيل !!.. الموتى لا يعودون إلى الحياة أبدًا .

غمغم الدكتور (حجازى) فى رُعب :

ـ هذا ما كنت أومن به ، حتى هذه اللحظة .

هتف (نور) فى عناد :

ـ مستحيل !!.. الله (سبحانه وتعالى) وحده يُحيى الموْتى ، وما من مخلوق يملك أن يفعل ذلك ، دون مشيئته (سبحانه) ، وما يحدث هنا من شرور ، يتنافى تمامًا مع المعجزات الإلهية .

كان يقول هذا بكل عناد ، وجثة العالم الرُّوحانى تتحرّك نحوه فى بطء ، وعيناها الباردتان تتركّزان على وجهه ، فهتف الدكتور (حجازى) فى ذُعْر :

ـ ابتعد يا (نور) .. ابتعد يا ولدى ، قبل أن يظْفَر بك .

انعقد حاجبا (نور) فى شِدَّة ، وهو يقول فى عناد :

ـ مُحال .. إننى لم أفر أبدًا من أمام رجل حىّ .. فما بالك برجل ميت ؟

وقفت الجثة فى هذه اللحظة ، على قيد خطوات من (نور) ، الذى قال فى حِدَّة :

ـ أنت ميت .

مضت لحظة من الصمت ، بدت فيها الحَيْرَة على وجه الجثة ، قبل أن يكرِّر (نور) فى صوت قوى :

ـ أنت ميت .

وهنا غمغمت الجثة فى دهشة :

ـ أنا ؟!

وفجأة ، تلاشت مظاهر الموت من الجثة ..

فجأة ، عادت إليها كل مظاهر الحياة ..

تورَّدت البشرة بالدماء ..

واستعادت العينان بريقهما ..

وتلفت الرجل حوله فى حَيْرة ، ثم استقرَّت عيناه على وجه (نور) ، وهو يقول فى توتُّر :

ـــ لماذا قلت إننى ميِّت ؟!

صاح الدكتور (حجازى) فى انفعال جارف :

ـــ إنها معجزة !!.. معجزة بحقّ !! لقد عاد الرجل إلى الحياة !!

هتف (نور) فى عناد :

ـــ مستحيل يا دكتور (حجازى) !! لا أنبياء هنا .

غمغم الدكتور (عبد الجليل) فى حَيْرة :

ـــ ولكننى حىٌّ بالفعل .

قال (نور) فى حزم :

ـــ وهذا لا يحمل سوى تفسير واحد .

سأله فى لهفة :

ـــ ما هو ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجابه فى حزم وصرامة :

ـــ أنك لم تمُتْ منذ البداية .. لم تمت أبدًا ..

* * *

أغلق (ابن الشيطان) حجرة (صفوت) خلفه فى إحكام ، وبإشارة من يده ، تكوَّم أثاثها كله فى جانب منها ، وانسدلت عليه ستارة سوداء ، حجبته عن الأعين تمامًا ..

وبإشارة أخرى تحوَّل لون الجدران والسقف والأرض إلى لون أسود قاتم مخيف ..

وظهرت شمعتان ضخمتا الحجم ، لهما لون أسود داكن ..

وبفرقعة من سبَّابته وإبهامه ، اشتعلت الشمعتان ، وسط ذلك المحيط الأسود الرهيب ..

وركع (ابن الشيطان) على ركبتيه ، ورفع كفَّيْه فى الهواء ، هاتفًا فى صوت عميق مخيف :

ـــ أبتاه .. هأنذا ابنك البار أعود .

برقت نقطة ما فى سماء الحجرة ، وبدت كصواعق وأعاصير ، تدور فى فلك محدود ، على حين ارتفع صوت (ابن الشيطان) ، وهو يستطرد :

ـــ هأنذا أسعى من أجلك .. من أجل انتقامك .

ارتجَّت جدران الحجرة فى قوة ، وراحت ترتجف كأوراق شجرة ضعيفة ، على مشارف الخريف ، وتحوَّل صوت (ابن الشيطان) إلى هدير قوىّ ، وهو يتابع :



وركع (ابن الشيطان) على ركبتيه ، ورفع كفَّيه فى الهواء ، هاتفًا فى صوت عميق مخيف : أبتاه .. هأنذا ابنك البار أعود ..

ــ سأظفر بحفيد (أوزيريس) .. سأنتصر هذه المرَّة .. وكما قلت أنت : الكون لا يتسع لنا معًا .. إمَّا هو ، أو أنا ..

تردَّد صدى كلمة (أنا) فى قوَّة ، وهبَّت عاصفة ساخنة ، التهبت لها الجدران ، والشيطان الصغير يصرخ :

ــ إنها معركتنا النهائية يا أبتاه .. النهائية ..

وفى مقلتيه اشتعلت النيران ..

نيران الجحيم ..

* * *

« إننى لم أمُتْ بالفعل .. » ..

غمغم الدكتور (عبد الجليل) بهذه العبارة فى توتُّر ، مجيبًا سؤال (نور) ، ثم زفر فى عصبيَّة ، مستطردًا :

ــ لقد ابتلعنى ذلك الكيان الأسود المخيف حقًّا ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى سمعت صوتًا أشبه بعظام تتحطَّم ، ووجدت نفسى أسبح فى فراغ مُظلم رهيب ، حتى أننى قد تساءلت ، على الرغم من شعورى الشديد بالخوف ، فى تلك اللحظات ، كيف أن هذا الشىء يحوى فراغًا كهذا .. وفجأة شعرت أننى أتجمَّد ، ويحيط بى قالب سميك ، ففقدت وَعْيى ، وأفقت لأجدكما أمامى ، وعندما اتجهت نحوكما ، سمعتك تقول إننى ميِّت ، فأصابنى خوف ودهشة ، وكدت أموت بالفعل ، لولا أن استعاد جسدى حيويَّة بغتة .

غمغم (نور) فى صوت خفيض :
ـ وَهْمٌ .
سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :
ـ ماذا تقول ؟
صاح فى حِدَّة :
ـ أقول : وَهْمٌ .. كل هذا مجرَّد وَهْمٌ .
هتف الدكتور (حجازى) فى حِدَّة مماثلة :
ـ أىُّ وَهم هذا يا (نور) ؟. من المستحيل أن نعيش كلنا وهمًا واحدًا .
قال (نور) فى انفعال :
ـ لماذا ؟!.. ألم نفعل من قبل ؟.. ألم نَعِش وهمًا واحدًا ، ونحن نرى تلك الأيدى تبرز من الأرض ، وتعتصرنا جميعًا ؟
غمغم الدكتور (عبد الجليل) فى عصبيَّة :
ـ بلَى .. لقد حدث هذا ، و .....
قاطعه رنين التليفيديو ، فضغط (نور) زرَّ الاستماع فى سرعة ، ورأى وجه زوجته الشاحب يبدو على شاشته ، فهتف فى قلق :
ـ ماذا هناك يا (سلوى) ؟

أجابته بكلمة واحدة ، كانت كافية لأن يرتطم قلبه بضلوعه ، وتشتعل الدماء فى عروقه :
ـ ابنتنا يا (نور) .
ولَمْ يسألها تفسيرًا ..
لَمْ يفعل ؛ لأنه لَمْ يَعُد هناك ..
لقد انطلق على الفَوْر ..
انطلق إليها ..

* * *

« ما الذى أصابها ؟.. » ..
ألقى (نور) هذا السؤال ، فى لهجة تحمل كل قلقه وتوتُّره ، ولهفته وخوفه ، فربَّت رئيس أقسام الطوارئ على كتفه ، وقال :
ـ اطمئن يا ولدى .. إنها نائمة الآن .
شرحت له (سلوى) الأمر فى كلمات سريعة ، واستمع هو إليها فى توتُّر ، قبل أن يلتفت إلى رئيس الأقسام ، ويسأله :
ـ قُل لى يا سيِّدى .. أما من وسيلة لتخليص جسدها من تلك الأجسام العجيبة .
هزَّ الرجل كتفيه ، وتردَّد لحظة ، ثم أجاب :

ـــ ربما لو استخدمنا الغسيل الكُلَوِىّ ..

قاطعه (نور) فى لهفة :

ـــ استخدمه .

تطلَّع إليه الرجل فى تردُّد ، وقال :

ـــ هذا يحتاج إلى بعض الفُحوص أوَّلًا ، فلا أحد يَدْرِى ما الذى يُمكن أن يصيبها ، لو أن تلك الأجسام تحمل بعض التآين .

قال (نور) فى توتُّر :

ـــ ابذل أقصى جُهْدك .

وانعقد حاجباه فى توتُّر ، وهو يستطرد :

ـــ كما سأفعل أنا .

* * *

تطلَّع الدكتور (حجازى) إلى (نور) طويلًا فى سُكُون ، ثم تراجع فى مقعده ، وزفر فى قوَّة ، وغمغم فى توتُّر واضح :

ـــ أما زلت تصرّ على مواصلة القتال يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال :

ـــ أتظن ذلك القرار يعود إلىَّ حقًّا يا دكتور (حجازى)؟

ـــ كلَّا .

ثم قلَّب كفَّيه ، مستطردًا فى توتُّر :

ـــ ولكن ما الذى يمكنك عمله ؟

أجابه (نور) فى حزم .

ـــ قالوا قديمًا : « اعرف عدوَّك » .

تطلَّع إليه فى ذُعْر ، وقال :

ـــ عدوَّك ؟.. أتريد معرفته ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى صرامة :

ـــ نعم .. حتى يمكننى مقاتلته .

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

ـــ ولقد ذكرت شيئًا عن كبير الخبراء فى هذا المكان .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـــ أتقصد الدكتور (عزيز) ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ نعم .. لو أنه يحمل الصفة السابقة .

تنهَّد الدكتور (حجازى) فى توتُّر ، وقال :

ـــ حسنًا يا (نور) .. سنذهب معًا إلى (عزيز) ، فقد نجد لديه تفسيرًا لما يحدث .

حاول أن يبتسم ، إلَّا أنَّ ابتسامته جاءت أشبه بالبكاء ، وهو يستطرد :

ـــ أو مزيدًا من الغموض .

* * *

كان الدكتور (عزيز) هذا يقطن ڤيلًا عتيقة على مشارف مدينة (القاهرة) القديمة ، تحيط بها عدة منازل غير مأهولة ، صدر قرار بإزالتها منذ عشر سنوات تقريبًا ، مما منح المنطقة مظهرًا كئيبًا ، أشبه بمقبرة قديمة مهجورة ، جعلت الدكتور (حجازى) يغمغم فى توتُّر :

— لقد أصبحت تلك الأماكن تُورثنى شعورًا بالرَّهبة والخوف .

تمتم (نور) :

— لماذا ؟!.. لقد هاجمنا الرُّعب فى منـــزلى، وتحت الأضواء .

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يتلفَّت حوله فى قلق :

— هذا صحيح ، ولكن المكان هنا يُوحِى بعشرات الخيالات .

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وقال وهو يضغط زِرَّ جرس باب الڤيلَّا :

— وماذا تتوقَّع أن تجد هنا ؟.. هيكلًا عظميًا ؟

هتف الدكتور (حجازى) معترضًا :

— ليس إلى هذا الحدّ .. أتظُنّنى ......؟

انقطعت عبارته بغتة ، وغُصَّ حلقه بباقى حروفها ، وتراجع مع (نور) فى حِدَّة ، فالذى فتح لهما باب الڤيلَّا لم يكن بشريًّا ..

كان هيكلًا عظميًّا ..

* * *



٧ ــ الضحيَّة ..

انعقد حاجبا المشرف على جهاز الغسيل الكُلَوِىّ ، وهو يتابع تلك النتائج ، التى تراصَّت أمامه على شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يغمغم فى حزم :

ــ مستحيل !

تطلَّعت إليه (سلوى) فى جَزَع ، وهتفت :

ــ لماذا ؟.. لماذا مستحيل ؟!

أجابها فى لهجة لا تحتمل النقاش :

ــ دم ابنتك عجيب يا سيِّدتى .. إنه يحمل تأيُّنا كهربيًّا عنيفًا ، حتى أنه ليدهشنى كيف أنه لم يصعقها حتى الآن .

هتفت فى ذُهُول :

ــ ولكن هذا مستحيل !!.. ما من بشرىّ يمكنه أن يحيا ، وهو يحمل مثل هذا الدم فى عروقه .

تطلَّع إليها فى هدوء ، وهو يقول :

ــ لهذا تفسير واضح يا سيِّدتى ، يبدو لى منطقيًّا ، ومُتَّفِقًا مع كل ما سمعته من أنباء عن ابنتك .

سألته فى لهفة :

ــ ما هو ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ــ هو أن ابنتك ليست بشرية يا سيِّدتى .

اتسعت عيناها فى ذُعر ، ولكنها لم تبس ببنتِ شفة ، فقد بدا لها تفسيره ، على الرغم من غرابته ، منطقيًّا .. منطقيًّا تمامًا ..

* * *

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى رُعب وذُهول ، وهو يحدِّق فى تلك الجمجمة البشريَّة ، التى تطلّ من خلف الباب ، على حين هتف (نور) فى عصبيَّة :

ــ أى فعل شيطانىّ هذا ؟

انطلق من خلف الباب صوت يهتف فى استنكار :

ــ شيطانىّ ؟!

ثم اختفت الجمجمة خلف الباب ، وأطلَّ بدلًا منها وجه متغضِّن ، لعجوز تجاوز الثمانين على الأقل ، راح يتطلَّع إلى الوجهين الشاحبين أمامه ، قبل أن يُطلق ضحكة عالية ، ويقول فى خُبث :

ــ ماذا أصابكما ؟.. تبدوان كأنكما قد رأيتما شبحًا .

عقد (نور) حاجبيه فى ضيق ، على حين قال الدكتور (حجازى) فى توتُر :

ــ ولكن ذلك الشىء .. أعنى هذه الجمجمة !!..

عقد العجوز حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ــ جمجمة ؟!

ثم لم يلبث حاجباه أن ارتفعا وهو يهتف :

ــ آه !!.. أتعنيان هذه ؟

أخرج يده من خلف الباب ، وهى تحمل الجمجمة ، ثم عاد يُطلق ضحكة عالية ، ويقول :

ــ إننى لم أنتبه لذلك .. إنها جمجمة أثرية ، تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، لرجل يشاع أنه أبرع سحرة عصره ، و .....

بتر عبارته بغتة ، ليشير إلى الدكتور (حجازى) ، قائلًا :

ــ قُل لى : ألست الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعين ؟

غمغم الدكتور (حجازى) :

ــ هو أنا .



أخرج يده من خلف الباب ، وهى تحمل الجمجمة ، ثم عاد يُطلق ضحكة عالية ..

تهلّلت أسارير العجوز ، وهو يهتف :

ـــ كيف حالك يا فتى ؟.. أراهن أنك لا تتذكر متى التقينا .. لقد كان ذلك فى القرن الماضى .. نعم .. فى القرن العشرين .. عندما كنت أنت معيدًا صغيرًا ، فى قسم الطبّ الشرعىّ بكلية طب (بنها) .. قُلْ : أما زال والدك يصلح الساعات بنفس المهارة ؟.. أما زال شقيقك (علاء) يصاب بتلك الحساسيّة ؟!

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـــ إننى أذكرك بالطبع يا دكتور (عزيز) ، فأنت أستاذى فى علوم ما فوق الطبيعيّات ، و .....

قاطعه العجوز فى حماس :

ـــ ادخل أوّلًا يا ولدى .. ادخل مع صديقك ، وسنناقش كل شىء فى الداخل .

أفسح لهما الطريق ، وتركهما يَدْلِفان إلى الداخل ، والدكتور (حجازى) يقدّم له (نور) ، قائلًا :

ـــ أقدّم لك الرائد (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية .

التمعت عينا العجوز ، وبدا فيهما بريق ذكاء حادّ ، وهو يتطلّع إلى (نور) ، قائلًا :

ـــ المخابرات العلمية ؟!.. يا لها من أسماء !!.. فى أيّامنا لم تكن هناك مخابرات علمية .. كانت هناك فقط مخابرات حربيّة ، ومخابرات عامّة ، وكان ذكر اسميهما ـــ حينذاك ـــ يثير خيال الشباب وحماسهم ، وأذكر أننى كنت أطالع فى شبابى سلسلة عن أعمال المخابرات ، كانوا يطلقون عليها اسم رجل الـ .....

قاطعه (نور) فى حزم :

ـــ سيّدى .. إننا نحتاج إلى مشورتك .

ابتسم العجوز فى سُخرية ، مغمغمًا :

ـــ فى المخابرات العلمية ؟!

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ كلّا .. إننى أحتاج إلى استشارتك بصفة شخصيّة .

رفع العجوز حاجبيه ، وهو يهتف :

ـــ آه !!.. هذا أفضل .

وبدا اهتمام حقيقىّ فى وجهه ، وهو يستطرد :

ـــ ماذا تريد بالضبط يا ولدى ؟

أخرج (نور) من جيبه تلك الرسالة ، التى تركها له جدّه ، والتى أرشدته إليها روحه ، فى رؤيا غامضة ، وقال :

— أريد تفسيرًا لهذا .

تناول العجوز الورقة فى بساطة ، وهو يقول :

— أهو رمز ما ؟

هزَّ (نور) رأسه مغمغمًا :

— لستُ أدرى .

فضَّ العجوز الورقة ، وتطلَّع إلى رسم القرص المنقوش ، ثم انعقد حاجباه فى شِدَّة ، وامتقع وجهه على نحو ملحوظ ، وهو يغمغم :

— يا إلهى !!.. رحماك يا ربى !!

اتسعت عينا (نور) ، وتبادلت نظرة عنيفة مع الدكتور (حجازى) ، قبل أن يسأل العجوز فى حِدَّة :

— ما الذى يعنيه هذا الرَّمز يا سيِّدى ؟

بدا العجوز شديد الشُّحُوب ، وهو يرفع عينيه إليهما ، وتردَّدت الكلمات على شفتيه لحظات ، قبل أن يتمتم بحروف مرتجفة :

— هذا النقش ليس رمزًا يا ولدى .. إنه كلمة .. كلمة بحروف مجهولة ، لن تجدها فى أيَّة قواميس ، أو حتى مراجع اللغات القديمة .. كلمة لا ينجح فى نطقها إلَّا الأشرار والتُّعساء ..

سأله (نور) فى لهفة :

— وما الذى تُعْنِيه هذه الكلمة ؟

تضاعف شُحُوبه ، حتى بدا أشبه بجثة تمشى على قدمَيْن ، وهو يغمغم :

— إنها تُعْنِيه هو .

هتف (نور) فى دهشة :

— هو ؟!

أجابه العجوز فى شُحُوب رهيب :

— نعم .. هو .. الشيطان .. الشيطان نفسه .

* * *



٨ ـ المعرفة ..

نستطيع أن نقول بكل ثقة ، وبلا أدنى مجاملة ، إن صمتًا تامًا قد خيَّم على حجرة مكتب الدكتور (عزيز) لخمس دقائق كاملة ، قبل أن يغمغم (نور) فى حِدَّة :

ـ الشيطان ؟!.. لا ريب أنك تمزح .

هاله شحوب العجوز ، وهو يغمغم فى خوف واضح :

ـ أمزح ؟!.. وهل يمزح المرء فى مثل هذه الأمور يا ولدى ؟

كانت عينا (نور) تحملان كل الحَيْرة والشَّك والقلق ، والرَّغبة فى عدم تصديق ما يسمعه ، أو يراه ، وهو يجلس فى بطء على مقعد قريب ، مردِّدًا :

ـ ولكن هذا مستحيل !!

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) فى شُحُوب ، ثم جلس إلى جواره صامتًا ، فى حين غمغم الدكتور (عزيز) فى توتُّر :

ـ لماذا يا ولدى ؟.. لماذا مستحيل ؟!

حار (نور) لحظات فى البحث عن الجواب ، ثم غمغم فى لهجة تائه :

ـ لأن الشيطان لن يتفرَّغ لمهاجمتى وحدى ، وإلَّا خلا العالم من شروره ، التى اقتصرت علىَّ وحدى ..

مطَّ الدكتور (عزيز) شفتيه ، وهزَّ رأسه فى بطء ، وهو يغمغم :

ـ يبدو أنك لم تستوعب الأمر جيِّدًا يا ولدى .

ثم مال بوجهه المتغضِّن نحوه ، مستطردًا فى كلمات ارتجفت حروفها :

ـ هذه الكلمة تعنى الشيطان حقًّا ، ولكن هذا لا يَعْنِى أن الذى يهاجمك هو الشيطان نفسه .

ازدرد لُعابه فى صوت مسموع ، ثم أردف فى خوف :

ـ إنه ابنه .. (ابن الشيطان) .

ردَّد (نور) فى ذُهُول :

ـ ابن الشيطان ؟!

أومأ الدكتور (عزيز) برأسه إيجابًا ، وأعاد جسده إلى الخلف ، وأمسك ركبتيه البارزتين بكفَّيه ، قبل أن ينهض وسط بحر من الصمت ، ويتجه إلى مكتبته الضخمة ، المكتظة بالكتب ،

ويلتقط منها كتابًا قديمًا ، اصفرَّت أوراقه من فرط قِدَمِه ، وراح يقلِّب صفحاته فى سرعة ، حتى توقَّف عند صفحة فى منتصفه ، والتقط منظاره الطِّبِّىّ ، ووضعه على عينيه ، وراح يقرأ فى توتُّر :

— قديمًا ، وعندما كان العالم كله غارقًا فى ظلام الجهل ، هبط الشيطان إلى الأرض ، وراقت له واحدة من بنات البشر ، فتشكَّلَ فى صورة برَّاقة ، وراقَ لها فى هيئته البشريَّة ، فتزوَّجته ، وأنجبت منه ابنًا ، هو نصف بشرىّ ، ونصف شيطان ، وهو خالد أبد الدهر ، لايموت ولا .....

قاطعه (نور) فى حِدَّة :

— ما من مخلوق خالد ياسيِّدى .. الله (سبحانه وتعالى) وحده الحىّ ، الذى لايموت .

تنهَّد الدكتور (عزيز) ، وغمغم :

— لا ياولدى .. لاتناقش هذه الأمور فى تعصُّب أو عناد ، بل لابُدَّ أن تناقشها بحياديَّة تامَّة ومنطق متعادل .

وعاد يميل نحوه ، مستطردًا فى حزم :

— هل سيبقَى الشيطان إلى يوم القيامة أم لا ؟

غمغم (نور) فى توتُّر :

— سيبقَى .

اعتدل الدكتور (عزيز) ، وقال فى حزم :

— ما الذى يمنع بقاء ابنه إذن ، ما دام هذا لا يَعْنى الخلود ؟

تمتم (نور) :

— سيِّدى .. إنك تهدم معتقدات نشأت معى ، و .....

لوَّح الدكتور (عزيز) بذراعه فى حِدَّة ، هاتفًا :

— هذا لا يَعْنى شيئًا ، فقد ينشأ المرء على معتقدات خاطئة ، يَرْضَعُها مع لبن أمه ، ويتنفَّسها مع نموِّه ، وتحفر خطوطها على جبينه ، وفى عينيه ، ولكن هذا لا يَعْنى أن يتشبَّث بها ، وأن يرفض مناقشتها .

خفض (نور) عينيه ، وهو يغمغم :

— أنت على حق ياسيِّدى .

عاد الرجل يقول فى حزم شديد :

— كم يبلغ عمر السُّلَحْفاة ؟.. وكم يبلغ عمر ذباب المستنقعات ؟.. ومتى يأتى يوم القيامة ؟.. أجب عن هذه الأسئلة الثلاثة ، تستوعب منطق خلود (ابن الشيطان) فى سلاسة .

كان ذكاء (نور) قادرًا على إدراك مغزى الأسئلة ، فغمغم فى استسلام :

— لقد فهمت يا دكتور (عزيز) .. فالسُلْحفاة يتجاوز عمرها المائتى عام ، بالنسبة لبعض أنواعها ، على حين يُولد ذباب المستنقعات ، وينمو ، ويموت ، فيما لا يتجاوز اليومين ، وهذا يَعْنى أن السلحفاة قد تبدو بالنسبة لذبابة المستنقعات خالدة ، فى حين أنها ، على الرغم من طول عمرها فانية ، وما دام أحد لا يعلم متى تقوم القيامة ، فهذا يَعْنى أنها قد تحدث الآن ، والخلود يَعْنى أن يحيا المخلوق حتى تقوم القيامة .. أقصد أن هذا مفهومنا نحن .. يا إلٰهى !!.. لقد أدركت ما تقصده يا دكتور (عزيز) ..

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهتف :

— صدِّقنى يا (نور) .. إننى أتساءل : كيف أمكنك فهم كل هذا بهذه السرعة ؟

ابتسم الدكتور (عزيز) ، وتراجع فى مقعده ، متمتمًا :

— من الواضح أنه عبقرىّ .. إنه يذكِّرنى بصديق قديم (رحمه الله) كانت له موقعة مُبهرة مع (ابن الشيطان) ، و .....

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شِدَّة ، ثم مال نحو (نور) فى حِدَّة مفاجئة ، وأمسك كتفيه فى قوة ، وهو يهتف :

— يا إلٰهى !!.. لقد أدركت الآن يا ولدى .. لقد أدركت لماذا يقاتلك ذلك البشع .. لقد أدركت سِرَّ القتال ..

* * *

اشتعل لهيب الجحيم كله فى عينى الشيطان الصغير ، وهبَّ واقفًا فى غضب ، على نحو جعل (صفوت) يرتجف ، ويلتصق بالحائط ، هاتفًا فى رُعب :

— ماذا حدث ؟.. ماذا حدث يا سيِّدى ؟

هتف (ابن الشيطان) فى صوت قوىّ ، ارتجفت له جدران منزل (صفوت) ، وهو يقول فى غضب :

— حفيد (أوزيريس) .. آخر أعدائى على وجه الأرض .. لقد علم الآن فقط أنه يواجهنى أنا .

تمتم (صفوت) فى دهشة ، وتوتُّر :

— علم ؟!.. ألم يكن يعلم ؟

اتّقدت عينا (ابن الشيطان) ، وهو يقول :

— كان سيعلم فى الوقت المناسب .

تردَّد (صفوت) طويلًا ، ثم غمغم :

— لِمَ لا تتركنى أقتله يا سيِّدى ، وننهى هذا الصراع ؟

هوَت كل خليَّة من خلاياه رعبًا ، عندما هتف الشيطان الابن ، فى غضب رهيب :

ـ تقتله ؟!.. أكنت تظننى عاجزًا عن أن أفعل ، منذ اللحظة الأولى ؟. قتل حفيد (أوزيريس) هذا لن يقتضى منّى أكثر من ساعة واحدة ، ولو أنك تظن أننى أحتاج إلى بشرىّ ليفعل ذلك ، فأنت أحمق واهم .. إنك هنا لمهمَّة واحدة .. مهمَّة واحدة فقط .

غمغم (صفوت) فى توتُّر :

ـ مهمَّة واحدة .. ما هى يا سيِّدى ؟

أجابه فى صرامة :

ـ ستعرفها فى حينها .

كانت لهجته مخيفة ، حتى أن (صفوت) لم يجرؤ على تكرار سؤاله ، وانكمش فى مكانه ، فى حين ابتسم سيِّده ابتسامته الشيطانية ، وعاد يقول :

ـ لا رَيْبَ أنك تتساءل عن السرِّ ، فى أننى لم ألجأ إلى قتل حفيد (أوزيريس) هذا مباشرة .. أليس كذلك ؟

أومأ (صفوت) برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنتِ شفَة ، فاتسعت ابتسامة الشيطان الصغير ، وبدت لمساعده البشرىّ مُرْعِبَة ، وهو يقول :

ـ لأن قومى أيضًا لهم تاريخ .. وتاريخهم هذا يمتلئ بسجلَّات لهزائم وانتصارات بنى جنسنا على بنى جنسكم ، ولقد كان من نصيبى ، فى المائة عام السابقة ، هزيمة نكراء ، على يد جَدّ ذلك الرائد ، وهذا يجعلنى لا أجرؤ على رفع عينىّ فى عينى الجميع ، عندما أعود إلى موطنى الأصلىّ ، وأستعيد هيئة أجدادى .

ارتجف (صفوت) ، بمجرَّد تصوُّر هذا الواقف أمامه ، وهو فى هيئته الشيطانية ، وراح يتطلَّع إليه فى خوف ، وهو يسمعه يستطرد :

ـ لذا فأنا أرغب فى تكبيد هذا الرائد هزيمة منكرة ، تكون فخرًا لى ، ولقومى كلهم .. وهذا ما ينبغى أن يسعى إليه أمير للجحيم مثلى .

وفجأة ، عادت لهجته إلى صرامتها ، وهو يهتف :

ـ هزيمة نكْراء ..

انتفض جسد (صفوت) كله رُعبًا ، وانكمش فى مكانه تمامًا ، حتى لقد بدا وكأن جسده قد تضاءل ، وتحوَّل إلى قزم صغير ، فى حين أشاح الشيطان الابن بوجهه عنه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ والآن اصمت تمامًا ، ودَعْنى أستمع إلى ما يدور بين خصمى اللدود ، وبين ذلك العجوز السخيف ، الذى يعلم عنّى كل شىء .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، لم يرها (صفوت) ، وهو يستطرد :

ــ كل شىء .. تقريبًا .

ثم أطلق ضحكة شيطانية ساخرة ..

ضحكة من أعمق أعماق الجحيم ..

* * *

« أنت تحمل دم (أوزيريس) » ..

نطق الدكتور (عزيز) بهذه العبارة فى لهجة إقرارية حادّة ، سَرَت لها قُشَعْرِيرَة غامضة فى جسد (نور) ، قبل أن يغمغم فى دهشة :

ــ دم (أوزيريس) ؟!

أجابه العجوز فى حزم :

ــ نعم .. دم (أوزيريس) .. لقد تذكّرت الآن من أنت .. لقد كان جدُّك هو ذلك الصديق ، الذى تحدّثت عنه منذ لحظات .. هو أيضًا كان يحمل فى عروقه دم (أوزيريس)،



ارتجف (صفوت) ، لمجرّد تصوُّر هذا الواقف أمامه ، وهو فى هيئته الشيطانية ، وراح يتطلّع إليه فى خوف ..

ولقد اشتبك مع (ابن الشيطان) هذا فى معركة حامية الوطيس ، كان له فيها النصر ، ولقد قضى على ذلك اللّعين بوسيلة ما ، وأجبره على العَوْدة إلى الجحيم عدّة أعوام لا حصر لها .

هتف (نور) فى لهفة :

ــ كيف هزمه جَدّى ؟!.. وكيف عاد هو إلى الأرض ؟

هزّ الرجل رأسه فى أسف ، وغمغم :

ــ لست أدرى كيف هزمه جَدّك ، فلقد فعل ذلك وحده ، وأُصيبَ بعدها بصدمة شديدة ، جعلته يلزم فراشه طويلاً ، وعندما التقيت به ، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، أشار إلى قرص معدنىّ ، كان يحمل نفس هذه النقوش ، وقال كلمة واحدة : « دَمّره » ، ثم هُرع إلى لقاء ربّه .

سالت دمعة حزينة من عينيه ، تشفُّ عن مدى ما تحمله له تلك الذكرى من ألم ، قبل أن يستطرد :

ــ وهكذا بقيت نقطة ضعف (ابن الشيطان) سرًّا غامضًا .

هتف (نور) :

ــ كيف عاد إذن ؟

مطَّ العجوز شفتيه فى أسف ، وقال :

ــ ذلك القرص المنقوش ، الذى تركه لى جدُّك ، هو الوسيلة الوحيدة لإعادة (ابن الشيطان) إلى الأرض ، فمن الضرورىّ أن يمسك به شخص ما ، ويقرأ النقوش المرسومة عليه .. والتى تعنى اسم الشيطان .. فإذا ما فعل شخص ذلك ، يعود هو إلى الأرض .

صاح الدكتور (حجازى) :

ــ لِمَ لَمْ تدمّر ذلك القرص إذن ؟

هتف العجوز فى حَنَق :

ــ لقد حاولت .

وعاد صوته ينخفض ، وهو يقول فى مرارة :

ــ صدّقنى .. لقد حاولت .. استخدمت كل الوسائل المعروفة ، فى ذلك الحين ، وضعته فى أفران حرارية رهيبة ، تبلغ درجة حرارتها ما يربُو على عشرة آلاف درجة مئوية ، وحاولت إذابته فى مزيج من أقْوى الأحماض المعروفة على وجه الأرض .. سحقته بضغْطٍ رهيب ، يفُوق مائتى ضعف للضغط الجوىّ ، لكن بلا فائدة ..

سأله الدكتور (حجازى) فى خوف :

ــ أتعْنِى أنه ما من وسيلة لتدميره ؟

هزّ رأسه نفيًا ، مغمغمًا :

ــ بحسب علمي ، لا توجد وسيلة معروفة .

ثم استدرك في انفعال :

ــ ولكنني دفنته بعيدًا .. في أعمق أعماق الصحراء ، في موقع مجهول ، لم أحاول أنا نفسي تحديده ، وأُقسم إنني قد نسيته تمامًا .

غمغم (نور) في سُخط :

ــ لقد استعاده أحدهم حتمًا .

هتف العجوز في ألم :

ــ بالتأكيد .. هذه هي الوسيلة الوحيدة ، لعودة (ابن الشيطان) إلى الأرض .

تنهّد (نور) في توتُّر ، وقال في عصبيّة واضحة :

ــ إذن فقد علمت أخيرًا من هو عدوّي .. ولكنني ما زلت أجهل كيف يمكنني القضاء عليه .. أو ما الذي فعله بابنتي !!

انتفض الدكتور (عزيز) في مقعده ، وكأنما أصابه مسٌّ من الشيطان ، وهتف وهو يمسك كتف (نور) في قوّة :

ــ ابنتك ؟!.. ما الذي فعله بها ؟

أجابه (نور) ، وقد أدهشه انفعاله المبالغ فيه :

ــ لست أدري يا سيِّدي .. لقد كانت ترقد في المستشفى ، مصابة ببعض الرضوض ، وبكسر في أحد أضلاعها ، ثم انتابتها فجأة ثورة جُنُونية ، و .....

قاطعه الدكتور (عزيز) في توتُّر بالغ :

ــ وتضاعفت قوّتها في شِدّة ، وباتت أشبه بشيطان .

هتف (نور) في توتُّر :

ــ نعم .. هذا ما حدث بالفعل .. ما الذي يَعْنيه ؟ .. ما الذي يَعْنيه يا رجل ؟

تراجع الدكتور (عزيز) شاحبًا ، وهتف في مرارة :

ــ يَعْني أن ابنتك قد أصبحت تحمل في عروقها دمًا غير بشريّ أيها الرائد .. إنها تحمل دمًا شيطانيًا ..

* * *

٩ ـ ابنتك يا (نور) ..

مسحت (سلوى) دمعة ، ترقرقت على وجنتها ، وهى تتطلّع إلى ابنتها ، الراقدة على سريرها ، فى حجرة العناية المركّزة ، غائبة عن الوَعْى ، وغمغمت فى حزن ، تسأل رئيس أقسام الطوارئ :

ـ أما من وسيلة ؟.. هل سنتخلّى عنها هكذا ؟

قلّب الرجل كفّيه فى حَيْرة ، وغمغم فى يأس :

ـ كم يؤسفنى ويحزننى أن أجد نفسى عاجزًا هكذا يا سيّدتى ، وأنا أواجه ما أجهله ، وما لم يَرِد ذكره فى كل كتب ومراجع الطب .. إننى أقدّر الآن حَيْرة (ألكسندر فلمنج) أمام تقيّح الجروح فى عصره(*)، وأشفق على أطباء

(*) سير (ألكسندر فلمنج) : (١٨٨١ ـ ١٩٥٥م) ، بكتريولوجى إسكتلندى ، لاحظ عام (١٩٢٨م) أن عفنًا قد لوّث مزارعه البكتريولوجية ، فأباد الجراثيم داخلها ، وأطلق عليه اسم (البنسلين) ، واقتسم مع آخرين جائزة (نوبل) ، بسبب أبحاثه عن (البنسلين) ، عام ١٩٤٥م .

القرن العشرين ، الذين وقفوا عاجزين ، أمام وباء (الإيدز) ، قبل أن يجدوا علاجه .. صدّقينى .. إننى أشعر بآلام لا وصف لها .

هتفت فى مرارة :

ـ لن تفوق آلامى .. إنها ابنتى .

ربّت على كتفها مشفقًا ، ومغمغمًا :

ـ إننى أقدّر ذلك .

وفجأة ، تراجع هاتفًا فى توتُّر .

ـ يا إلهى !.. لقد عاد رسّام المخ يمنحنا تلك الإشارة المخيفة .

هتفت فى ذُعْر ، وقد تعلّقت عيناها برسّام المخ :

ـ يا إلهى !!

كان الجهاز الإليكترونى يبدو كما لو أصابه مسٌّ من الجنون ، وهو يرسم تلك الخطوط المتعرّجة الحادّة ، فى سُرْعة ضخمة ..

وفجأة ، نهضت (نشوى) ..

تمامًا كالمرّة السابقة ، نهضت كآلة تبدأ عملها ، بعد طول توقُّف ..

وتمامًا كالمرَّة السابقة أيضًا ، انتزعت الأنابيب العلاجيَّة من جسدها ، وغادرت فراشها فى بطء ، ثم اتجهت نحو الباب ، الذى تم تغيير بابه الزجاجىّ السميك .

وهتف رئيس الأقسام :

ــ ابتعدوا .. ابتعدوا عن طريقهـــا .. لاتعتـــرضوا مسارها .

صرخت (سلوى) فى ذُعر :

ــ ولكن الباب الزجاجىّ .. لو أنها حطمته بقبضتها ، فستصاب بجروح كالسابق .

هتف رئيس الأقسام :

ــ إنه مفتوح .

وبالفعل دفعت (نشوى) الباب ، فانفتح فى هدوء ، وغادرت الحجرة فى خطوات حازمة ، متجهة نحو مخرج القسم ، فهتفت (سلوى) :

ــ أوقفوها .. أرجوكم أوقفوها .

صاح رئيس الأقسام :

ــ لن يجرؤ أحد على ذلك ياسيِّدتى ، بعـــد أن رأوا ما أصاب زميلهم ، الذى حاول ذلك مسبقًا .

هتفت فى حِدَّة :

ــ سأفعل أنا إذن .

واندفعت نحو ابنتها ، فى محاولة لإيقافها ..

ولكن فجأة ، انقضت صاعقة الرُّعب ..

لقد هبَّت عاصفة ساخنة مخيفة ، داخل ممرّ المستشفى .. عاصفة كلَفْح اللهب ، أطاحت بالجميع إلى الجدران ..

وصرخ رئيس الأقسام فى رُعْب :

ــ يا إلهى .. ما الذى يحدث هنا ؟

وتعالت صَرَخات الجميع فى رُعب وفَزَع ، واتسعت عينا (سلوى) فى هَلَع ، وهى تهتف :

ــ ربَّاه !!.. ما هذا ؟!

كانت ابنتها الوحيدة ، التى لم يُطِحْ بها الإعصار .. وحدها كانت تسير فى هدوء ، نحو الحائط ..

وأمام عيون الجميع المذهولة ، انشق الحائط نصفين ..

ومن خلفه بدا مشهد عجيب ..

حجرة مكتب قديمة ، خالية من الأثاث تقريبًا ، فيما عدا إطارًا صغيرًا ، يزيِّن الجدار المواجه ..

وإلى جوار اللوحة وقف رجل متَّشح بالسَّواد ..



وحدها كانت تسير فى هدوء ، نحو الحائـط ..
وأمام عيون الجميع المذهولة ، انشق الحائط نصفين ..

بل شابٌ يرتدى حُلَّة سهرة سوداء أنيقة ، ورباط عنق فَرَاشيًا صغيرًا ..

وكان هذا الشاب وسيمًا ، جميل الطلعة إلى أقصى حدّ .. ولكن مرآه ألقى الرُّعب فى قلوب الجميع ..

صحيح أنه كان يقف هادئًا ، يعقد ساعديه أمام صدره .. وأنه كان يبتسم ..

ولكن عينيه كانتا تبعثان الرُّعب فى القلوب ..

كانتا متقدتين كاللهب ..

وفى هدوء ، اجتازت (نشوى) ذلك الشقّ فى الجدار ..

وصرخت (سلوى) فى رُعْب هائل :

ـ كلّا يا (نشوى) .. كلّا ..

ولكن ذلك الأشقر الوسيم المخيف ، قال فى لهجة آمرة ، وصوت قوىّ مخيف :

ـ تعالَىْ .

وأطاعت (نشوى) ..

وعَبَرَت الشقّ ..

وفى بطء ، راح الشقّ يلتحم ، و (سلوى) تصرخ :

ـ لا يا (نشوى) .. عُودِى .. عُودِى .

ثم التحم الشقّ ..

وهدأت العاصفة ..

لقد انتهى كل شيء ..

ضاعت (نشوى) ..

ضاعت إلى الأبد ..

* * *

اتسعت عينا (نور) ذُعرًا ، وهو يتطلّع إلى الدكتور (عزيز) ، هاتفًا :

ـ ما الذى تعْنِيه يا سيِّدى ؟.. ما الذى تعْنِيه بأن ابنتى تحمل فى عروقها دمًا شيطانيًّا ؟

هتف الدكتور (عزيز) فى مرارة :

ـ إننى أعْنِى كل حرف نطقت به يا ولدى .. أعْنِيه قولًا وفعلًا... إن ما أصاب ابنتك هو أحد أساليب الشيطان الابن ، للسيطرة على ضحاياه .. إنه يدفع فى عروقهم بعضًا من دمائه ، فيتحوَّلون بها إلى أتباع له ، ويفقدون كل سيطرة على أنفسهم تقريبًا .

غمغم (نور) فى ارتياع :

ـ يا إلٰهى !!

ثم عاوده عناده ، فهتف :

ـ ولكن من قال إن جسد الشيطان يحوى دمًا كأجسادنا ؟

أجابه العجوز فى ضيق :

ـ لا تحوِّر كلماتى يا ولدى ، ولا تكابر أو تعاند ، فالوسيلة الوحيدة لمقالة خصمك هذا ، هى أن تكون واقعيًّا ومنطقيًّا ، وإلَّا فإنه سيهزمك حتمًا .. لا أحد يعلم كيف يبدو الشيطان نفسه ، سوى خالقه (عزَّ وجلّ) ، أما ابنه ، فنحن نعلم كيف يبدو ، فى هيئته الأرضية على الأقل ، ولا تنس أبدًا أنه نصف بشرىّ ، وأنه يملك بعضًا من صفات البشر ، إلى جوار صفاته الشيطانية ، وهذا يَعْنِى أن له دمًا ، ولكنه ليس دمًا بشريًّا خالصًا ، بل دمًا يحمل نصف سِمات الشياطين .

انهار (نور) معنويًّا ، وهو يهتف :

ـ وكيف ؟.. كيف يُمكن انتزاع هذا الدم من جسدها ؟

تنهَّد العجوز ، وغمغم فى حسم :

ـ لدىَّ الوسيلة .

هبَّ (نور) من مقعده ، وعاد الأمل يخفق بين ضلوعه ، وهو يهتف :

ــ كيف ؟.. أخبرنى بالله عليك .

نهض العجوز من مقعده ، والتقط علبة معدنية من مكتبته ، نفض الغبار عنها فى بطء ، وهو يغمغم :

ــ هل قرأت أساطير مصّاصى الدماء القديمة ياولدى ؟

هتف (نور) فى توتُّر ، بعد أن تبادل نظرة دهشة مع الدكتور (حجازى) ، الذى اكتفى بالصمت طِيلة الوقت تقريبًا :

ــ بالطبع ياسيِّدى .. ولقد كانت لنا موقعة مع مصّاص دماء مزيَّف فيما مضى(*) ، ولكن ماعلاقة ذلك بـ.....

قاطعه العجوز فى هدوء ، وكأنما لايَعْنِيه كثيرًا أن يستمع إلى تعقيبه :

ــ فى تلك الأساطير توجد وسائل خاصّة ، لمواجهة ومقاومة مصّاصى الدماء ، كالشمس والماء الجارى ، والثوم ، ولقد أضاف بعض المتديِّنين المسيحيين ، مثل (برام ستوكر) ، مؤلف أوَّل قصة عن مصّاصى الدماء ، إلى تلك الوسائل الماء المقدَّس .

(*) راجع قصة (ليلة الرُّعب) .. المغامرة رقم (٢٢) .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ سيِّدى .. إننى لم أدرك بعد علاقة هذا بـ.....

مرَّة أخرى قاطعه العجوز ، وهو يلتقط من علبته المعدنية شيئًا ما :

ــ لقد أثبتت دراساتى ، وأبحاثى أن كل هذا مجرَّد وَهْمٌ .. فلا وجود لما يسمى بمصّاصى الدماء ، وهذا يَعْنى أن كل ماذُكر عنهم ، بما فى ذلك وسائل القضاء عليهم ، مجرَّد هُرَاء ، ولست أَعْنى هنا مَرْضَى (البروفيريا) ، الذين يبدون أشبه بمصّاصى الدماء بالفعل(*) ، وإنما أَعْنى مصّاصى الدماء الذين وردوا فى الأساطير ، و .....

فى هذه المرَّة قاطعه (نور) ، صائحًا :

ــ سيِّدى .. ماعلاقة هذا بما نحن بصدده ؟.

(*) البروفيريا : مرض شديد الندرة ، ينشأ من نقص البروفيرين) فى تكوين الدم ، ويصبح المصاب به شاحبًا ، بارز الأنياب ، شديد الحساسية للشمس ، ويشعر بالارتياح إذا ما أضاف إلى معدته بعض الدماء ، ويقال إن مرضى (البروفيريا) هم السبب فى ظهور أسطورة مصّاصى الدماء .

فتح الدكتور (عزيز) يده ، فظهرت فيها قنينة صغيرة ، أشار إليها ، قائلًا :

ــ لست أدرى ما علمية الأمر يا ولدى ، ولكن هذه المياه ، التى تخرج من بئر (زمزم) فى (مكة) ، هى الوسيلة الوحيدة ، للقضاء على دماء (ابن الشيطان) ، فى أجساد ضحاياه .

اختطف (نور) القنينة ، وهو يهتف فى لهفة :

ــ شكرًا يا سيِّدى .. سأحقنها على الفور بتلك المياه .

غمغم الرجل فى شُحُوب :

ــ المهم أن تفعل فى الوقت المناسب يا ولدى .

توقَّف (نور) ليسأله فى توتُّر :

ــ ماذا تعْنى يا سيِّدى ؟

سأله الرجل فى قلق :

ــ قُل لى أوَّلًا : متى بدأت تلك النَّوبة مع ابنتك ؟

أجابه (نور) فى قلق متضاعف :

ــ لقد أصابتها النَّوبة الأولى مساء أمس .

شحُب وجه الدكتور (عزيز) ، وهو يقول :

ــ هذا ما كنت أخشاه .. أسرع إذن يا ولدى ، فلو أنك لم تحقنها بتلك المياه ، قبيل الفجر ، فسَيَعْنى هذا أنك ستفقدها إلى الأبد .

هتف الدكتور (حجازى) فى ذُعْر :

ــ ما الذى تعْنيه يا سيِّدى ؟

التفت إليه الدكتور (عزيز) ، وهو يقول فى شُحُوب :

ــ لو أشرقت الشمس على الضحيَّة ، التى تحمل دماء (ابن الشيطان) مرَّتين ، فسيَعْنى هذا أن تتحوَّل إلى الأبد إلى نسخة منه .. إلى نصف شيطان .

هتف (نور) :

ــ يا إلهى !!.. لن أسمح بذلك أبدًا يا سيِّدى .. لن أسمح به .

وقبض على القنينة بقوَّة ، واندفع نحو الباب ..

ولكن فجأة انفتح الباب فى عنف ، وبدا على عتبته مخلوق خرافىّ مخيف ..

مخلوق هو نصف بشرىّ ، ونصف نِمر ..

رأس بشرىّ وذراعاه وجذعه ، وجَسَدُهُ جَسَد نِمر ..

وزأر المخلوق الأسطورىّ فى قوَّة ، وهتف الدكتور (عزيز) ، وهو يتراجع مع الدكتور (حجازى) فى رُعب :

ــ إنه أحد حيواناته ولا شكّ .. إن ذلك الشيطان الصغير لن يسمح لك بهزيمته .. لن يسمح بها أبدًا ..

* * *

١٠ ـ صنيعة الشيطان ..

كان المخلوق مخيفًا حقًّا ..

حتى وجهه شبه البشرىّ ، كان بشعًا ، يحوى عينين ناريّتين ، وأنيابًا حادّة بارزة ..

ولقد كان يتطلّع إلى (نور) ..

كان من الواضح أنه قد جاء من أجله ..

من أجله وحده ..

ولكن (نور) لم يشعر بالخوف ..

لقد أدرك مَنْ عدوُّه ..

وأدرك هدفه ..

ولن يسمح لـ (ابن الشيطان) بالانتصار عليه أبدًا ..

وفى حزم ، أشار (نور) بكفّه ، قائلًا لرفيقه :

ـ ابتعدا .. إنها معركة بينى وبينه .

صاح الدكتور (حجازى) فى رُعب :

ـ احترس يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم وصلابة :

ـ اطمئن يا سيِّدى .

وفى هدوء ، امتدّت يد (نور) تلتقط خنجرًا أثريًّا خاصًّا ، من فوق مكتب الدكتور (عزيز) ، ثم وضع قنينة المياه الصغيرة فى جيبه بكل عناية ، ووقف يواجه ذلك المخلوق المخيف ..

وأدرك نصف النّمِر أن هذا البشرىّ يتحدّاه ، فزأر فى عناد ..

ثم انقضّ ..

انقضّ بنصفيه الآدمىّ والوحشىّ على خصمه ..

على (نور) ..

* * *

اندفعت (سلوى) نحو ذلك الجدار ، الذى اختفت خلفه ابنتها ، وراحت تدقُّه بقبضتيها فى هلَع ، وهى تصرخ :

ـ (نشوى) .. أين أنت ؟.. أين أنت ؟

كانت تضرب الحائط ، وتصرخ ، وتتلفّت حولها فى انهيار ..

كانت مصابة بانهيار عصبىّ عنيف ..

وكذلك رئيس الأقسام ومعاونوه ..

لقد وقف الجميع فى ذُهول ، يُحدِّقون فى الحائط نفسه ، قبل أن ينتزع رئيس الأقسام نفسه من ذُهوله ، ويهتف :

ــ أسرعوا .. فليفحص أحدكم قسم الجراحات ، خلف هذا الجدار ، ولتصدر أوامر بمنع الخروج من المستشفى ، تحت أيّة ظروف ، وليبلغ أحدكم القسم الهندسىّ ، ليرسلوا أبرع مهندسيهم ؛ لفحص ذلك الجدار .

ثم اندفع نحو (سلوى) ، هاتفًا :

ــ كَفَى يا سيِّدتى .. كَفَى .

راحت تقاومه فى شراسة ، وهى تصرخ :

ــ ابنتى .. أعيدوا إلىَّ ابنتى .

صاح فى حزم :

ــ كَفَى .. إنك تحطِّمين أعصابك هكذا .

صرخت فى مزيد من الهياج :

ــ أعيدوا إلىَّ ابنتى .

وهنا هَوَى على وجهها بصفعة قويَّة ، ارتجَّ لها رأسها ، وجعلتها تحدِّق فى وجهه بدهشة عارمة ، قبل أن تهتف غاضبة :

ــ كيف تجرؤ ...... ؟

قاطعها فى حزم :

ــ لقد نجوت من انهيار عصبىّ ، وهذا ما يهمُّنى .

تطلَّعت إليه فى دهشة ، ثم نقَّلت بصرها إلى الجدار ، وانفجرت باكية ، هاتفة :

ــ أريد ابنتى .. أرجوكم .

ربَّت على كتفها ، مغمغمًا فى حَيْرة :

ــ سنبذل أقصى جهدنا يا سيِّدتى لاستعادتها .. صدِّقينى .

تشبَّثت به ، وهى تهتف :

ــ حاول أن تحضر زوجى إذن .. إنه الأمل الوحيد الآن .. الأمل الوحيد ..

* * *

كان (نور) يشبه تمامًا أبطال الأساطير ، وهو ينقضُّ على ذلك الحيوان الخرافىّ ، نصف الآدمىّ ، ونصف الوحشىّ ..

ولقد اختلطت صرخته القتاليَّة الصارمة ، بزئير ذلك المخلوق ، قبل أن يلتحما معًا فى مشهد مخيف ..

وراح المخلوق الوحشىّ يُطلق صرخات مخيفة ، وهو يحاول اقتناص عُنُق (نور) بأسنانه ، وتمزيق جسده بمخالبه ..

ولكن (نور) كان ثائرًا ..

كان غاضبًا حقًا ..

و (نور) مخلوق هادئ جدًا ، عندما يفكر ..

شديد العصبيَّة إزاء الغموض ..

شديد العنف والقسْوة عند الغضب ..

هكذا هو دوْمًا ..

خليط من المشاعر والصفات المتناقضة ..

وهكذا هو دوْمًا ..

عملاق عندما يثور ..

ولو أن هذا المخلوق الخرافىّ متوحش ، فـ (نور) فى هذه اللحظة كان يستحقّ لقب (قاهر الوحوش) ..

ربَّما لأنه لم يكن يقاتل من أجل نفسه ..

بل من أجل ابنته ..

كان يعلم أن الأمل الوحيد ، لنجاة ابنته من مصيرها الأسْود ، هو أن يصل إليها ، وأن يحقنها بتلك المياه ، التى تحويها القارورة الصغيرة ، التى تستقر فى جيبه ، قبل الفجر ..

وفى إصرار وعناد شديدين ، دفع رأس المخلوق بساعده الأيسر ، ثم انثنى فى رشاقة مدهشة ، أكسبته إيَّاها تدريبات إدارة المخابرات العلمية الشاقة ، واعتلى ظهر غريمه ..

وبيده اليمنى ، التى تحمل الخنجر ، إنهال على عنق المخلوق الوحشىّ ..

وغاب الخنجر حتى مقبضه فى عنق المخلوق ، الذى أطلق صرخات ألم وغضب وحشيَّة ..

وارتفع خنجر (نور) ، وهَوَى .. وهَوَى .. وهَوَى ..

ولدهشة الدكتور (حجازى) ، والدكتور (عزيز) ، راح المخلوق الوحشىّ ينزف دمًا أخضر اللون ..

دمًا شديد الكثافة ..

ثم أطلق خوارًا كالثور ، ودارت عيناه فى محجريهما ، وهَوَى ..

لقد انتصر ابن آدم ..

انتصر (نور) فى معركته مع نصف آدمىّ متوحِّش ..

وبقيت معركته الكبرى ..

معركته مع (ابن الشيطان) ..

* * *

كان الذُّهول يملأ كل خلْجَة من خلَجات وَجه رئيس أقسام الطوارئ ، وهو يهتف :

ــ مستحيل !! .. لقد رأينا جميعًا هذا المشهد الخرافىّ .. رأيناه بما لا يدع مجالًا للشك ، ولكن .....



واعتلى ظهر غريمه .. وبيده اليمنى ، التى تحمل الخنجر ، انهال على عنق المخلوق الوحشىّ ..

ارتجف قلب (سلوى) ، وهى تسأله :

ــ ولكن ماذا ؟

قلّب كفّيْه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ ولكن كل الفحوص تؤكّد أنه ما من شىء غير طبيعىّ .. أطباء قسم الجراحة كانوا يجرون إحدى عمليات اللّيزر الميكروسكوبية عندما رأينا ذلك ، وهم يؤكدون أنه لم يحدث لديهم أى شىء غير طبيعىّ ، ورجال القسم الهندسى يؤكدون أن ذلك الجدار طبيعىّ تمامًا ، بل إنه من المستحيل أن يتشقّق ، أيًا كان السبب ، نظرًا لطبيعة بنائه ، وأنه حتى لو حدث هذا ، فهو لن يلتحم بهذه الدّقّة قطّ .

شحُب وجهها ، وامْتُقِعَ فى شِدَّة ، وهى تقول :

ــ ما الذى يَعْنِيه هذا ؟

هزّ كتفيه فى حَيْرة ، مغمغمًا :

ــ إنه لا يَعْنِى أىّ تفسير علمىّ حتمًا .

وتردَّد لحظة ، قبل أن يستدرك :

ــ ولكنّه .....

قالها وصمت ، وكأنما وجد أنه ليس من اللائق أن يتم عبارته ، فهتفت (سلوى) ، تستحثه على المواصلة :

— ولكنه ماذا ؟

تردَّد مرَّة أخرى ، قبل أن يغمغم فى خفوت ، وفى لهجة يغلب عليها طابع الحياء :

— كنت أقصد أنه يذكِّرنى بحكايات جدَّتى الخرافيَّة .

غمغمت فى دهشة :

— حكايات جدَّتك ؟!

تردَّد للمرَّة الثالثة ، ثم تمتم :

— قد يُدهشك هذا ، أو يُضحكك ، أو يبدو لك سخيفًا ، إلَّا أن كل ما حدث هنا يذكرنى بحكايات الجِنّ القديمة .

هتفت فى دهشة بالغة :

— الجنّ ؟!

أجابها فى حِدَّة مباغتة :

— نعم .. الجِنّ .

حدَّقت فى وجهه لحظات ، فى مزيج من الدهشة والحَيْرة ، وهى تتساءل : أيمزح فى مثل هذا الموقف ، أم أنه يَعْنى حقًّا ما يقول ؟..

ولقد جاءها الجواب من بين شفتيه ، وهو يستطرد متوتِّرًا :

— كل ما حدث يؤكِّد هذا .. العاصفة الساخنة ، وانشقاق الحائط ، وذلك الأشقر الوسيم المخيف ، الذى بداخلها .. ألا يذكرك كل هذا بحكايات الجِنّ .

هتفت فى حِدَّة مستنكرة :

— هل تصدِّق ما تقول ؟

لوَّح بذراعيه غاضبًا ، وهو يهتف :

— ولِمَ لا ؟!.. الجِنّ مخلوقات مثلنا ، ولكنها من النار ، وليست من الطِّين ، وهذا يبرِّر تلك الرياح الساخنة ، ثم إنه من المحتمل أن هذا الأشقر جِنِّىّ ، أراد الزواج من ابنتك ، أو.....

قاطعته صارخة :

— الزواج منها ؟!.. هل جُنِنْت ؟

عقد حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

— لماذا ؟.. هل أنطق بما لم يؤيِّده العلماء ، أو رجال الدين ؟!.. لقد ذُكر الجِنّ فى الكتب السَّماوية ، التى أيَّدت وجودهم ، ولقد حُرِّمَ زواجهم من البشر ، فهل تتصوَّرين أن هذا التحريم قد جاء ، دون أن يكون هناك زواج بينهم بالفعل ؟!..

كلَّا يا سيِّدى ، ما دام هذا الزواج قد حُرِّم ، فهذا يَعْنى أنه ممكن .

صرخت فى ألم :

ـ ومع هذا أرفض منطقك .

صاح مُختنقًا :

ـ لا يوجد سواه .

هتفت فى عناد :

ـ ليس هذا مبرِّرًا لنؤمن به .

جاءها صوت (نور) ، وهو يقول فى ألم وحزن :

ـ ولكنه يحمل بعض الحقيقة يا (سلوى) .

التفتت إليه فى لهفة ، وهى تهتف :

ـ (نوّر) ؟.. يا إلهى !!.. (نور) ؟

وفى تلقائية ، ألقت نفسها بين ذراعيه ، وراحت تبكى ، وتنتحب فى حرارة ، وهو يربِّت على ظهرها فى رِفق ، ورئيس الأقسام يحدِّق فيهما بدهشة ، قبل أن يهتف :

ـ أأنت زوجها ؟!.. أأنت ذلك الرائد ، من المخابرات العلمية ؟

أومأ (نور) برأسه ، قائلاً :

ـ هو أنا .

بكت (سلوى) فى حرارة ، وهى تهتف :

ـ ابنتنا يا (نور).. لقد اختفت داخل الحائط .

قال فى مرارة :

ـ لقد علمت كل شىء يا (سلــوى).. من ممرضى القسم .

ثم أمسك كتفيها ، ودفعها بعيدًا ، بطول ذراعيه ، وهو يسألها :

ـ هل بدا لك ذلك المكان ، الذى ذهب إليه بها مألوفًا ؟

ردَّدت فى حَيْرة :

ـ مألوفًا ؟!.. أقول لك إنه قد شقَّ الحائط ، و .....

قاطعها فى حزم :

ـ هل بدا المكان مألوفًا يا (سلوى) ؟

اغرَوْرَقَتْ عيناها بالدموع ، وهى تغمغم فى حَيْرة :

ـ لست أدرى يا (نور).. لست أدرى .. لقد كان مجرَّد حجرة خالية ، لا تحوى سوى لوحة صغيرة ، ذات إطار قديم ، و .....

بترت عبارتها بغتة ، وهتف هو ، وقد أدركا معًا طبيعة المكان :

ـ حجرة مكتب جدّى .

ثم جذبها من معصمها ، هاتفًا :

ــ لقد عِلمت الآن أين أخذها ذلك الشيطان الوغد الصغير .. إلى منزل جَدّى القديم وسط المزارع .. إلى حجرة المكتب هناك ، حيث ذاق هزيمته السابقة .

هتفت وهى تتبعه لاهثة :

ــ من هو هذا يا (نور) ؟.. ولماذا أخذ ابنتنا ؟.. وكيف ؟!

صاح بها متوترًا ، وهو يجذبها إلى الخارج :

ــ سأخبرك فيما بعد .. عندما يحين الوقت المناسب .. هيّا قبل أن نفقد ابنتنا .

هتفت فى ارتياع :

ــ نفقدها ؟!

اختلط هتافها بقصف الرّعد ، ودَوِىّ البرق ، وانهمار المطر ، مما منح الجوّ كله مظهرًا مخيفًا رهيبًا ..

ولكنها تبعت زوجها ..

تبعته إلى حيث الأمل ..

إلى حيث الأمل الوحيد ..

* * *

١١ ــ المواجهة ..

التهبت عينا (ابن الشيطان) ببريق جَهَنّمى ، أشبه بالنيران المُتّقدة ، وهو يقف فى شُرفة منزل جَدّ (نور) الريفىّ ، وقال فى شراسة :

ــ إنه فى طريقه إلى هنا .

مدّ (صفوت) بصره إلى الأمام ، ووَدَّ لو أنه سأل سيّده كيف يمكنه أن يبصر فى الظلام ، إلّا أنه آثر الصّمْت ، وقد تذكّر أنه ليس بشريًّا ، واكتفى بأن غمغم :

ــ متى سيصل يا سيّدى ؟

أجابه الشيطان الصغير فى لهفة :

ــ بعد عشر دقائق على الأكثر .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشيّة ، وهو يستطرد :

ــ لقد أدرك الآن من يقاتل ، وأين سيكون الصراع الأخير .. إنه يعرف ساحة المعركة ، ويندفع إليه غير آبه .. كم يشبه جَدّه !

التفت إلى حجرة المكتب العريقة الخالية ، واستعاد ذهنه مشهدًا قديمًا ..

مشهد جدّ (نور) ، وهو يقف فى ركن الحجرة ، هاتفًا :

ــ يا إلهى !!.. لقد أدركت كيف .. لقد أدركت الآن كيف يمكننى القضاء عليك ، وإجبارك على العودة إلى موطن بنى جنسك .

ما زالت كلماته هو تدوّى فى رأسه ، عندما أجاب ذلك بضحكة ساخرة ، قائلًا :

ــ مُحال أيها البشرىّ .. لن يمكنك تصوُّر أسلوب القضاء علىّ أبدًا .

هتف الجَدُّ فى صرامة :

ــ بل لقد علمته .. لقد علمته .

ثم التقط تلك الأسطوانة ، و .....

نفض عن عقله تلك الذكرى ، التى أورثته مزيدًا من الغضب والثورة ، فهتف فى سخط :

ــ سيدفع آخر أحفاد (أوزيريس) الثمن .

سرَت قُشَعْرِيرَة باردة فى جسد (صفوت) ، ثم أشار إلى مُسدَّس ليزرىّ ، يقبع داخل جيبه ، متمتمًا فى تردُّد :

ــ سيِّدى .. لست أحبّ أن أُكرِّر قولًا ، ولكن لو أنك ترغب فى أن أقتل ذلك الرائد ، فأنا .....

قاطعه (ابن الشيطان) فى غضب :

ــ كلَّا ..

انتفض (صفوت) ، وغمغم :

ــ أردت فقط أن أعرض الأمر .

رفع الشيطان الصغير يده فى وجه (صفوت) ، ولوَّح بسبَّابته ، قائلًا فى صرامة :

ــ قلت لك إننى أحتفظ بك ، من أجل مهمَّة واحدة .. مهمَّة محدودة ، لا يحق لك تجاوزها .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

ــ ولقد حان الوقت لتعلم طبيعة مهمَّتك .

غمغم (صفوت) فى توتُّر :

ــ أنا رهن إشارتك يا سيِّدى .

اتَّقدت عينا مبعوث الجحيم مرَّة أخرى ، وهو يقول :

ــ ستعلم كل شىء الآن .. المهمّ هو ألَّا تتدخَّل فى صراعى مع حفيد (أوزيريس) هذا أبدًا ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهم ؟.. مهما كانت الأسباب .

* * *

« شيطان ؟!.. » ..

ألقت (سلوى) تلك الكلمة فى رُعب هائل ، وبكلمات وحروف حمل ارتجافها هذا المعنى إلى أُذنى (نور) فى وُضوح ، وهو ينطلق بسيارته الصاروخية ، نحو منزل جَدّه الريفىّ ، فعقد حاجبيه فى حِدّة ، وهو يقول متوتّرًا :

ـ ابنه يا (سلوى) .. (ابن الشيطان) ، وليس الشيطان نفسه :

شَحُبَ وجهها فى شِدّة ، وهى تهتف :

ـ (نور) .. إنك تثير فى نفسى فزعًا شديدًا .. حديثك هذا يَعْنِى أن ابنتنا الآن بين يدى نصف شيطان .

ثم هزّت رأسها فى قوّة ، مستطردة فى حِدّة :

ـ وأنا أرفض تصديق هذا الأمر .

قال فى صرامة :

ـ رفضك أو قبولك لن يغيّر من الأمر شيئًا يا (سلوى) .. صحيح أن كل هذا لا يحوى حقيقة علميّة واحدة ، مدوّنة فى أى مرجع علمىّ معتمد ، إلّا أنه الواقع .. وما زالت عبارة الدكتور (عزيز) تدوّى فى أُذنىّ : « لكى تنتصر على هذا الشرّ ، فلابدّ أن تواجهه بمنطقية وواقعية ، مهما كان متعارضًا مع آرائك ، وإلّا فإنه سينتصر .. سينتصر حتمًا » ..

سَرَت فى جسدها قُشَعْرِيرَة خوف ، وهى تغمغم ، وقد اغْرَوْرَقَت عيناها بدموع المرارة واليأس :

ـ ماذا سنفعل إذن يا (نور) ؟.. ماذا ؟

أجابها فى حزم :

ـ سنواجهه يا (سلوى) .. سنواجه الأمر بلا تَقَاعُس ..

صاحت فى ألم :

ـ كيف يا (نور) ؟.. كيف ؟.. إنك تقول إنك ما زلت تجهل نقطة ضعفه ، فكيف تواجه خصمًا ، لا قِبَلَ لك بهزيمته ؟

انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لم أَقُل إننى أجهل نقطة ضعفه .. قلت فقط إن الدكتور (عزيز) ما زال يجهل نقطة ضعفه .

التفتت إليه فى دهشة ، وهتفت :

ـ أتعْنِى أن أكبر خبراء ما فوق الطبيعيّات يجهل نقطة ضعفه ، فى حين تعلمها أنت ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. وأنا أيضًا كنت أجهل نقطة ضعفه ، حتى رأيت بُقَع الطمى ، وهى ترتطم بالزجاج .

أدارت رأسها تتطلَّع إلى زجاج السيَّارة ، الذى تناثرت فوقه بُقَع الطَّمْى ، ثم عادت تلتفت إليه ، متسائلة :

ــ لست أفهم شيئًا ..

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو ينحرف فى طريق جانبىّ ، يقود إلى المنزل الريفى مباشرةً ، وقال :

ــ ماذا يحدث لك ، لو أننى ألقيت فى وجهك قطعة كبيرة من الطَّمْي الجافّ ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حِدَّة :

ــ أظن أن ذلك سيؤلمنى ويسبِّب لى الكثير من الضَّرَر .

هتف فى حماس :

ــ هذا هو الحلّ .

غمغمت فى دهشة وحَيْرة :

ــ أىّ حَلّ ؟

أوقف سيارته أمام المنزل الريفى ، وهو يقول فى حزم :

ــ فيما بعد ياعزيزتى .. فيما بعد .. أمّا الآن فعلينا أن نتحرَّك بأقصى سرعة لإنقاذ ابنتنا .

وغادر السيَّارة ، وهو يشير إلى الأفق ، مستطردًا :

ــ قبل الفجر ..

* * *

تطلَّع (ابن الشيطان) إلى سيَّارة (نور) ، وهى تتوقَّف أمام المنزل الريفىّ ، واتقدت عيناه الناريَّتان انفعالًا ، وهو يغمغم :

ــ لقد وَصَل .

ثم التفت فى هدوء ، وتطلَّع إلى (نشوى) ، التى وقفت خلفه صامتة ، شاردة البصر ، تبدو كالغائبة عن الوعْي ، واستطرد فى لهجة آمِرَة :

ــ استعدِّى .

غمغمت فى آلية :

ــ مُسْتَعِدَّة .

ابتسم فى ثِقَة ، وهو يقول فى حزم :

ــ أتعلمين مَنْ ستواجهين ؟

أجابته بنفس الشرود والآلِيَّة :

ــ أبى .

هتف فى انفعال :

ــ ماذا ستفعلين به ؟

أجابت على الفور ، وبلهجة تخلو من أيَّة انفعالات :

ــ سأقتله .

كان يسيطر عليها سيطرة تامة ..

ربما لأن دماءه تسرى فى عروقها ..

دماؤه الشيطانية ..

ولقد أثلج قولها صدره ، فاعتدل ، واشتعلت عيناه بلهيب الانتقام ، وهو يقول فى حزم :

ـــ سيكون هذا أفضل انتقام من حفيد (أوزيريس) .

وانتقل اشتعال عينيه إلى صوته ، وهو يستطرد :

ـــ سيموت بيد ابنته .. دم (أوزيريس) سيقتل بعضه البعض .

وفى كل أركان المنزل ، ترددت ضحكته الشيطانية ..

ضحكة مبعوث الجحيم ..

* * *

ارتجف جسد (سلوى) رُعبًا ، والتصقت بزوجها ، وهى ترتعش فى شِدَّة ، وتهتف :

ـــ ما هذا ؟.. ما هذا يا (نور) ؟

ربَّت على كتفها مطمئنًا ، وهو يقول :

ـــ لا شىء يا عزيزتى .. لعله صوت الرياح .

هتفت فى رُعب :

ـــ كلَّا يا (نور) .. إنها ضحكة .. لقد سمعتها فى وضوح .

غمغم فى لهجة ، لم تنجح حتى فى إقناعه هو :

ـــ ربَّما كان البرق ، أو المطر ، أو .....

قاطعته فى حِدَّة :

ـــ أخبرنى يا (نور) .. ما هذا ؟

تنهَّد فى عمق ، وأجاب :

ـــ إنها ضحكته .

ازداد شحُوبها وارتجافها ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـــ ضحكة (ابن الشيطان) ؟!..

ارتجفت فى رُعب ، وهى تهتف :

ـــ يا إلهى !!

قال فى حزم :

ـــ لقد أتينا إلى هنا ، ونحن نعلم بوجوده ، ونستعد لمواجهته يا (سلوى) .. أليس كذلك ؟

هتفت فى خوف :

ـــ ولكن يا (نور) .

أضاف فى صرامة :

ـــ من أجل ابنتنا .

كان ذكر ابنتها يكفى ، لأن تنتزع من نفسها كل الخوف ، وتقول فى صرامة ، وبلهجة حاسمة حازمة :

ــ سنواجهه يا (نور) .. سنواجهه من أجل ابنتنا ، مهما كان الثمن .

انطلقت إثر كلماتها ضحكة شيطانية أخرى ، تجمّدت لها الدماء فى عروقها ، ثم أضيئت كل أنوار المنزل دفعة واحدة ، فانتفضت فى قوّة ، وشهقت فى ذُعر ، وراح جسدها يرتعد بين ذراعىْ (نور) فى قوّة ، وهى تغمغم :

ــ هل جاء ؟! .. هل جاء يا (نور) ؟

شعرت بأصابعه تضغط ذراعها فى قوّة ، وبدت لها كلماته حادّة حاسمة ، وهو يقول فى حزم :

ــ نعم يا (سلوى) .. لقد جاء .

رفعت عينيها إليه ، ورأته يتطلّع إلى نقطة ما خلف ظهرها ، فالتفتت فى حركة غريزية ، وتطلّعت إلى حيث ينظر ..

وارتجفت فى رُعب ..

لقد رأته يقف هناك ..

رأت (ابن الشيطان) ..

* * *

مضى ما يقرب من دقيقتين كاملتين ، و (نور) و (سلوى)

يتبادلان النظرات ، مع (ابن الشيطان) ، و (سلوى) ترتجف فى رُعب هائل ، إلى أن قال (نور) فى حزم :

ــ ها نحن أُولاء نلتقى لأوّل مرّة .

أجابه الشيطان الصغير فى لهجة مخيفة :

ــ كلّا .. ليست أوّل مرّة أيها الرائد .. لقد التقينا فيما مضى .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدّة :

ــ متى ؟

ابتسم (ابن الشيطان) فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ لن تذكر أبدًا متى ؛ لأنك مثل بنى جنسك .. قصير العمر ، كما أنكم لم تتوصّلوا بعد إلى حكمة تناسخ الأرواح .

غمغم (نور) فى دهشة :

ــ التناسخ ؟!

هتف الشيطان الابن :

ــ نعم .. لقد التقينا أنا وأنت ، فى حياة سابقة لك ، وكان ذلك منذ خمسين قرنًا من زمنكم .

غمغمت (سلوى) فى ذُهول :

ــ منذ خمسة آلاف عام ؟!

لوّح (مبعوث الجحيم) بذراعه ، هاتفًا :

— نعم .. كان زوجك ، فى ذلك الحين ، قائدًا عسكريًا ، من رجال ملككم المصرىّ (أخناتون) ، ولقد تصدّى لى ، وأنا أحمل شخصية كاهن من كهنة (آمون) .

واتقدت عيناه شررًا ، وهو يستطرد :

— ولقد التقينا مرّة أخرى ، فى (روسيا) ، فى بدايات القرن العشرين .

غمغم (نور) فى سخرية :

— وفى أيّة شخصية كنت أنت ؟.. فى هيئة دُبّ قُطبىّ ؟

هتف ابن الشيطان :

— بل فى هيئة الرجل ، الذى ما زالت كتب التاريخ تحمل اسمه حتى الآن ، وتتحدّث عن معجزاته وفجوره .

والتهبت عيناه انفعالًا ، وهو يهتف :

— كنت (راسبوتين)[*] .

(*) (جريجورى يفيموفيتش راسبوتين) (١٨٧٢ — ١٩١٦) : راهب روسى ، سيطر برغم جهله على بلاط قيصر (روسيا) ، ونُسبت إليه قوًى رُوحانية عجيبة ، بعد نجاحه فى شفاء ولىّ العهد ، ولقد عُرف بكثرة شروره ومجونه فى ذلك العهد .

اتسعت عيون (نور) و (سلوى) ، وهتف الأوّل :

— يا إلهى !!.. إذن فهو أنت .

صاح الشيطان الابن فى غضب :

— نعم .. لقد التقينا عشرات المرّات ، فى هيئات وثياب مختلفة ، وفى كل مرّة كنت أنت تنتصر ، أمّا فى هذه المرّة فمُحال .

صاح (نور) فى صرامة :

— مَن قال مُحال ؟!.. لقد أتيت إلى هنا ، وأنا أعلم كيف أهزمك أيها الجهنّمىّ .

أطلق الشيطان الابن ضحكة ساخرة ، وقال :

— هذا لو أنك واجهتنى أنا هذه المرّة .

ثم التفت هاتفًا :

— ستقاتل مُعاونتى .

شهقت (سلوى) فى لوعة وذُعر ، عندما برزت ابنتها من خلفه ، وهى تحمل سيفًا ضخمًا ، وعيناها تبرقان فى وحشيّة وشراسة ، لم تكونا أبدًا من صفاتها ..

وغمغم (نور) فى لوعة :

— (نشوى) ؟!.. يا إلهى !

انتزع (ابن الشيطان) من الجدار سيفًا مماثلًا ، ألقاه إلى (نور) ، الذى التقطه على نحو غريزىّ ، وهو يسمع (مبعوث الجحيم) يقول :

ــ إنها معركة لا تعادُل فيها أيها الرائد .. إمّا أن تقتلها ، أو تقتلك هى ، وفى الحالتين أربح أنا ، وتخسر أنت .

ثم التفت إلى (نشوى) ، قائلًا فى حزم :

ــ اقتليه .

وفى شراسة ، هبطت (نشوى) فى دَرَجات السُلَّم ، متجهة نحو أبيها ، وقد شهرت سيفها فى مواجهته ..

وبكى قلب (نور) بين ضلوعه ..

كان عليه هذه المرَّة أن يواجه أحبَّ الناس إليه ..

ابنته ..

* * *

[انتهى الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث]

[الصراع الجهنمى]